تومي عياد الأحمدي

الشيخ محمد الشبوكي

شاعر الثورة الزاهد



وزارة الثقافة



تومي عياد الأحمدي

الشيخ محمد الشبوكي

شاعر الثورة الزاهد





عنوان الكتاب: الشيخ محمد الشبوكي
شاعر الثورة الزاهد
المؤلف: تومي عياد الأحمدي
الناشر: الأحمدي للإعلام والنشر
تصميم الغلاف: نور الدين مجوري
الإيداع القانوني: 2420 - 2013
ردمك: 978-9947-981-05-4
الطبعة: الثانية 2013





رسالة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لعائلة الشبوكي

إثر مصابها الجلل في فقدان فارسها "محمد الشبوكي"

مؤرخة: يوم الإثنين 06 جمادى الأول 1426هـ الموافق لـ 13 جوان 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الرئــــيس

إلى كافة أفراد عائلة المرحوم

المجاهد الشبوكي محمد بن عبد الله

حفظهم الله ورعاهم

اليوم أدركته المنية وتغمم بألطاف رحمة بارئه ليعرج إلى الملكوت الأعلى، بجوار إخوانه من الشهداء الأبرار والمجاهدين الأخيار.

إنه المرحوم الشبوكي الرجل الصادق في مسيرته الشجاع في قوله، المبدئ في مواقفه، الذي رضع لبن الوطنية منذ أيقن أن طريق الحق هو الوفاء للشعب والإخلاص للوطن. وهي الرسالة التي يهون في سبيلها العمر، ويرخص في مداها، ما ملكت الأيمان. وقد استرعى ذهنه ما كان يغط في أبناء وطنه، من ضروب التخلّف والأمية، والقهر والفاقة. فاستشعر في نفسه تلك الغيرة على

بني وطنه، وشاهد ببصره ما كانت عليه الأمة، وأدرك ببصيرته، أن سبيل الخلاص يكمن في طلب الشهادة من أجل الحياة، حياة العزة في الدنيا، والفوز بنعيم الآخرة. وقد توثقت ثقته بوطنه فعاشه بكل مهجته تأثرا، وشاعرا وعاملا من أجل تقدمه ورفاهيته.

فمنذ ولادته في مطلع القرن العشرين، تفاعل مع محيطه، فاختار درب تحصيل العلم رغم ظروف المنع والإكراه، حتى كسب ناصية اللغة العربية، في أعلى صروحها، معتبرا ذلك عملا نضاليا، يهيّئه لمعاضدة قضية وطنه الجريح. ورأى أن تحصيل العلم والمعرفة هو النضال في سبيل وطنه، وانتقل في طلب ذلك إلى جامع الزيتونة العامر، لينال التحصيل، في مطلع الأربعينيات، وعاد مسلحا إلى أرض الوطن بالمعرفة، يلقن أبناء ملته أصول المعرفة وفنون الثقافة، في المدارس الحرة.

وردا على نشاطه وحيويته، وتصميمه على مقارعة الاحتلال، كان محل اهتمام المستعمر وعيونه، التي لم تتورع في أن تحقق معه وتسائله كل مرة، مشددة عليه الخناق، لكنه لم يهن، ولم يلن، ولم ييأس أمام صروف التضييق والإكراه.

وقد اشتد عوده بفضل تمرسه في النضال، وتصميمه على الكفاح في صفوف الحركة الوطنية، ومن خلال الوعي

المتنامي لديه الذي كانت تنشره جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشباب، وبذلك كان من السباقين إلى صفوف ثورة التحرير الظافرة، التي رفع فيها لواء الثورة قولاً وعملاً، وكابد في سبيلها التعذيب والاعتقال سنوات.

ولئن عُرف الشبوكي بما اشتهر به، في قصيدته العصماء وملحمته الشماء "جزائرنا يا بلاد الجدود"، التي كانت بردًا وسلاماً على قلوب المجاهدين، وهم يكرّون على العدو، ونارا موقدة في أفئدة غلاة الاحتلال، وهم يفرون أمام جنود الحق، وغدت نشيدا تتعطر به ألسنة الأجيال المتعاقبة، ليس في الجزائر فحسب، ولكن إلى كل فضاء أدركته لغة الضاد، وحلّت به وشائج القربى والعواطف الإنسانية.

فالشبوكي، ليس هذا فقط، إنما هو شاعر مجيد وخطيب مصقع، وأديب لامع، سحب جناحه كنسر على قمم شاهقة، وألقى منها روائع الشعر.

تقلد الفقيد العديد من المناصب على المستوى المحلي والوطني، حتى أصبح نائباً بالمجلس الشعبي الوطني، ولم يهجر النضال طوال حياته بالكلمة الطيبة، والقول السديد والرأي الحكيم. ديدنه في ذلك رغبة جارفة وحب خالد لوطنه، وشعبه، ويشهد له الجميع، بأنه كان ذا بصيرة نافذة، ورؤية ثاقبة، في الانتصار للقضايا المصيرية للأمة

بإيثار المحبة والتآخي ونبذ الفرقة والشنآن بين أبناء الوطن الواحد، والدعوة الشجاعة للمصالحة والوئام والسلم المدني في جزائر العزة والكرامة.

ستظل الأفئدة تهفو إليه، والحناجر تشدو بخالد نشيده إلى أبد الآبدين.

إن الجزائر فقدت فيه واحدًا من أخلص أبنائها، نذر شبابه لتحرير الوطن، وأفنى عمره في تحقيق عزة البلاد وسؤدد الأمة، ورقيها.

أبتهل إلى المولى جلت رحمته العالمين، أن يظلله بجناح الرحمة، ويسكنه فسيح جنانه، ويكتبه مع الصديقين والشهداء والأبرار.

كما أعرب لأهله وذويه الأكارم، وكافة محبيه عن صادق تعازي، وخالص دعواتي.

"إنا لله وإنا إليه راجعون".

عبد العزيز بوتفليقة



الشيخ محمد الشبوكي رحمه الله



كلمة المؤلف:

ذاكــرة شاعــر ومدينــة

قبل سبعة عشر عاما، وأنا بعد تلميذ في الصف السادس، أجلس إلى مقاعد مدرستي الابتدائية بمسقط رأسي "مدينة الشريعة ولاية تبسة"، عرفت لأول مرة الشيخ الفاضل محمد الشبوكي رحمه الله، في مسابقة مدرسية بين مدرستي "المختلطة" ومدرسة "الحياة". هذه الأخيرة التي كان الشيخ يمثل روحها ورمزها الكبير، ولم يكن آنذاك معلما ولا مديرا لها ولكنه دُعي لحضور المسابقة التي احتضنتها قاعة مدرسة "الحياة" كضيف شرف.

وفي كلمة الافتتاح، راح مدير مدرسة "الحياة" يثني على ذلك الرجل الأسمر الجالس في طاولة بمفرده في مقدمة القاعة، ببذلته السوداء وربطة العنق الكستنائية. كان أنيقا جدا وصاحب هيبة ووقار. ولأن كلمات المدير اكتنفها إطراء كبير، أذكر أن الشيخ الشبوكي رحمه الله نادرا ما رفع رأسه من على الأوراق التي كانت أمامه على الطاولة.

وعندما أكمل المدير كلمته الافتتاحية وأعاد الخط لمنشّط المسابقة، دعا هذا الأخير الشيخ الشبوكي مجاملةً ليلقي كلمة بالمناسبة. وبشموخ كبير توسط المنصة، وقال كلاما باللغة العربية لم أفهم منه الكثير، لكني أُعجبت إعجابا شديدا بفصاحته وهدوئه، وختم كلامه بكلام شعري يمدح به مدرسة "الحياة" وتلاميذها. عندها أحسست بالغيرة على مدرستي "المختلطة"، وتمنيت من أعماق قلبي لو كان لها رجل مثل "الشيخ امحمد" كما يلقبه الناس عادة في مدينة الشريعة، لكني في الوقت نفسه تساءلت ببراءة الأطفال: هل يمكن أن أكون مثله ذات يوم؟

وعندما تناول المنشط الكلمة من جديد، قال بأن الشيخ الشبوكي هو كاتب النشيد الثوري الحماسي الذي نردده من حين لآخر في حجرات الدراسة "جزائرنا يا بلاد الجدود" ونُلزِم بحفظه عن ظهر قلب، حينها انتابني شعور غريب وتراكمت أسئلة في مخيلتي منها: كيف استطاع هذا الرجل أن يقول هذا النشيد؟

وانتهت المسابقة بفوز مدرستي "المختلطة"، ويا للمصادفة، ولأني من أنجب تلاميذها تم اختياري

لاستلام الجائزة من يدي الشيخ الشبوكي. كنت خجلا وسعادتي لا توصف بهذا التقدير المتميز لطفل في مثل سني. وأذكر أنه عندما سلمني الجائزة قال مداعبا: "أشكركم لأنكم كنتم أفضل من مدرسة "الحياة"، كسرتم شوكتها الطويلة" فانفجر التصفيق يملأ القاعة فأحسست باعتزاز وفخر كبيرين.

ومنذ تلك المرة حتى انتقالي إلى المرحلة الثانوية لم أكن أشاهد الأستاذ محمد الشبوكي سوى أحيانا قليلة في سيارته العتيقة الأنيقة الخضراء أو في السوق أو بجوار منزله المحاذي لمدرسة الحياة. لكن أتيحت لي فرصة التعرّف إليه أكثر عندما كنت تلميذا في المرحلة الثانوية، كنت حينها تلميذا نجيبا في شعبة الآداب ملهما بدنيا الكتابة والشعر والأدب، وفي الوقت نفسه أخطو خطواتي الأولى في المحاولة الشعرية التي قادتني إلى دار الشباب بالشريعة، أين قدمت انخراطي في النادي الأدبي والفني الذي يضم مجموعة هامة من شعراء المدينة ومبدعيها (شعرا وكتابة وتشكيلا)، وكانت بدايتي في عالم الإبداع الأدبي.

إن ذلك الفضاء المتواضع في شكله القوي في معناه، الذي كنا نطلق منه أصواتنا المثقلة، المبحوحة التي تصارع غبار المدينة وبرودتها وجمودها وركودها الثقافي وجملة من العادات والتقاليد الخانقة، منحني فرصة صقل موهبتي، كما قربني من بعض الشخصيات الأدبية، ومنها الشيخ الشبوكي رحمه الله، الذي كان قليلا ما يشرّفنا بحضوره، لأنه كان شبه صائم عن المجالس الأدبية في تلك الفترة الدموية.

وعندما انتقلت إلى الجامعة بتبسة (فرع الحقوق) سنة 1995 انتقل معي همُّ النشاط الثقافي إلى عالم الحركة الطلابية (الاتحاد العام الطلابي الحر)، وفي الوقت نفسه أسست رفقة مجموعة من الطلبة الجامعيين نادي "جسور" للإبداع الطلابي بدار الشباب لمدينة الشريعة، يهتم بكتلة الطلبة المبدعين في شتى المجالات الأدبية، العلمية، الفنية والرياضية. وهو ما مكنني من دعوة الشيخ الشبوكي مرتين بمناسبة ذكرى 19 ماي (عيد الطالب) وكانت فرصة للتعرف أكثر على هذا الرجل الرمز.

وفي الوقت نفسه، واصلت نشاطي في النادي الأدبي والفني بدار الشباب الذي كان فضاء خصبا أشبه بمدرسة أدبية فنية، يلتقي فيها كل من له باع أو حس أدبي أو فني رغم إمكاناته المادية المحدودة جدا. لذلك تقرر ترقيته إلى جمعية ثقافية ولائية في أواخر سنة 1995، أطلقت عليها تسمية "الخمائل الثقافية" بمباركة من الشيخ الشبوكي، الذي كان رئيسا شرفيا لها. وبفضل جهود مسيريها، تحصلت على مقر في وسط المدينة، وتحولت إلى فضاء مشع يستحق التقدير. كانت بالفعل راية حضارية ترفرف في سماء مدينة راكدة، بل كانت رئة تتنفس منها المدينة ثقافيا حيث انتقل نشاطها إلى المؤسسات التربوية وإلى الفعاليات الثقافية الولائية، الجهوية والوطنية.

وأنكر أن الشيخ الشبوكي رحمه الله رغم رفضه الشعر الحر جملة وتفصيلا، إلا أنه كان يعترف بقدرات تلك الكتلة من الشباب، ويقدّر فيها جهودها الثقافية ونضالها المستمر لترقية الحركة الأدبية، وكان يدعمها كلما سنحت له الفرصة، ويشرّفها بحضوره ويلقي شعره بتواضع كبير. وأنكر أن من أجمل اللقاءات الأدبية

التي جمعتنا به في تلك الفترة، أمسيات شعرية احتضنتها قاعة مدرسة "الحياة" وكان الشيخ الشبوكي فارسها الأول.

وكان آخر نشاط جمعني به ظهوري إلى جانبه في الشريط التلفزيوني الذي أعدته محطة قسنطينة الجهوية تناولت فيه جوانب من حياته، وكان يعطي رأيه فيما يكتبه شعراء المدينة الشباب. ومنذ ذلك الوقت، وبسبب التزامات مهنية أبعدتني عن مسقط رأسي، لم أشاهد ولم أتحدث إلى الشيخ الشبوكي إلا مرة أو مرتين بجوار منزله أو محرابه كما يحلو لي أن أسميه. لكني لم أنس جمائله علينا، وأوردت اسمه في إهداء ديواني الشعري الأول. وإن ابتعدت المسافة، فالشعر وحده لا يعترف بالحدود والمسافات.

وخلال الأشهر الأولى من سنة 2005، كنت أسمع أنه مريض وكم تمنيت لو زرته لكن القدر كان أقوى. وفي يوم 16 من جوان من السنة نفسها، وفي أحد شوارع (باب الوادي) بالعاصمة، قرأت في صحيفة "الخبر" أن قمة ثقافية وثورية شامخة رحلت عنا يوم أمس، بعد مرض عضال، وهو الشيخ الشبوكي.

فأحسست بأن مدينة "الشريعة" ترمّلت بفقدانها عملاقها الفذ، رجل القيادة والثورة والثقافة والحس المرهف. كما أحسست بأن نشيد "جزائرنا" يبكي في كل زاوية من هذه الأرض الطاهرة حزنا على قائله الراحل عن كل شيء إلا عن شعره وخلْفه الذاكر لفضله.

إن شيخا فاضلا وشاعرا فذا ومجاهدا مخلصا وأبا صالحا وخطيبا مصقعا، ولبيبا مقنعا، ومعلما جهبذا وعالما جليلا مثل الأستاذ محمد الشبوكي رحمه الله حريٌّ بنا أن نذكره ولا ننسى عطاءه، ونذاكر سيرته ولا نمهل أدبه وفكره، ونتعلم من منهجه في الحياة، وننقله شخصية وإرثا للأجيال. فهذا الرجل لم يكن شاعرا فحسب، بل شاهدا على حقب مهمة من تاريخ الجزائر المعاصرة. ويا للأسف لقد تعرّض للإهمال في حياته وللنسيان بعد وفاته.

إن تكريم هؤلاء الرجال ليس بإطلاق أسمائهم على مؤسسات وشوارع، وليس باحتفالات كرنفالية مخلدة لوفاتهم، إنما بتدارس لأفكارهم وطباعة لأعمالهم وكتابة وتحليل لمسارهم (شعرا ونضالا وجهادا وعلما) وأضعف

الإيمان ألا يُهمّشوا إعلاميا ويُتناول شعرهم في مذكرات التخرج الجامعية.

إن هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القارئ الكريم في طبعته الثانية، ليس دراسة أكاديمية، لكنه محاولة متواضعة لنقل هذه الشخصية بما تحمله من قيم نبيلة من خلال التعرض لمساره الحياتي، الجهادي والإبداعي، بالإضافة إلى كتابات وقراءات في ديوانه الوحيد الصادر عن منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ومختارات من قصائده وقليل من صوره الخاصة. وقصدي من ذلك أن أحرّك في الأسرة الثقافية الجزائرية رغبة البحث والتعمق أكثر في خبايا حياته الخصبة، والبدء في إعادة الاعتبار لهذا الرجل النموذج، وأمَلي أن أكون قد وفّقت في هذا وما توفيقي إلا بالله.

تومي عياد الأحمدي

الجزائر العاصمة 04 نوفمبر 2006



رثائية الشاعر الأعظم
الشيخ محمد الشبوكي رحمه الله

يا شاعـرَ الشعـراء مَـاذا سنفعَـلُ والشعرُ بَعْدك في الهَشاشة يأفَـلُ

كيف رَحلْتَ وما رَوَيْـتَ جزائـرا شعرا يُرَدِّدُ يوم يَشْـدو المَحْفَلُ

كيـف تُغـادر دونَ أيـةِ ضَجَّـةٍ مثـل التُقـاةِ العابِدينَ مُبَجَّـلُ

ماذا تبقَّـى للمدينـة بَعْـدَكَ شَمطاء تبدو دون شيخٍ يَصْـهلُ

بالأمـس كُنـت راعيًا لِشبـابها كانت كَحَقْـل أمَّا أنت فَجَـدْولُ

تزْهو اعتزازا حيـن تقـرأُ شِعـرَكَ طيـرًا فريـدا ليس مثله بُلبـلُ

كنت المجاهـد قـدوةً في صبـره لا السِّجـن أنْسَى برْدُه ما تَحْمِـلُ

كُنت المُناضِـلَ في السِّياسة رأيُـه في البرلمَـانِ أو الحُشُـودِ الأعْقَـلُ

كُنت الحكيـمَ إذا لَبِسَـتَ قَضيـةً عَدْلٌ لبيـبٌ للسَّمَاحَـةِ مُرْسِـلُ

كُنت المُـواطِـن شُعْلةً في فعله لا الدَّهر يُنْسي طُولَهُ مَـا تَفْعـلُ

كُنـت التَّقِي إمَـامَـةً وخَطَـابَةً طُوبَى البَليـغُ مُحَمَّـدٌ كَم يُذْهِلُ

كُنـت الأديبَ يَرَاعُـهُ مُتوقِّدٌ فِكْـرًا عَظيـمًا صُنْعُـهُ مُتَقَبَّـلُ

كنت المُعلم مَنهجـًا وحَصـافَةً كُفُؤًا جَليلاً مِنْ عُلـومِهِ نَنهَـلُ

كُنْتَ بَسِيطًا مَا جَرَيْتَ لِمَنْصِبٍ   سُبْحَانَ رَبِّي زَاهِدٌ . مُتَبَتِّلُ

كُنْتَ الحَبِيبَ إِلَى القُلُوبِ مَزَارُهُ   نِعْمَ الخَلائِقِ حُبّهُ لا يَذْبُلُ

فَلَنَا العَزَاءُ وللجزائر كُلِّهَا   أَمَّا الدُّمُوعُ ففي خُشُوعٍ تَنْزِلُ

الله أكبر يا مِثَالاً للشَّبَابْ   كَيْفَ تُضِيء وعندَ لَيْلِنَا تَرْحَلُ

سخَّرت أغلى ما لديك شبابُك   فِعْلاً وشِعْرًا، أنت نَجْمِي الأَوَّلُ

في ثَورةِ التَّحريرِ قُلْتَ قصائدا   عَصْمَاءَ مِنْ لَدُنِ الأبيِّ الأَفْحَلُ

"جَزَائِرنَا" مِنْ صَدَى الخَالِدَات   منقُوشَةٌ كَالذِّكْرَيَاتِ الأَجْمَلُ

أدعو وقَلْبِي شَارِدٌ في حُزْنِهِ   ربِّي لِشَيْخي في جِنَانِكَ مَنْزِلُ

نَمْضي جميعًا مهما طَالَ بقاؤُنا   نقْضِيها نَمْشِي وفي النِّهَايَةِ نُحْملُ

كُنْتَ محمد وجهَ أهْلِ مُحمدٍ   أَنْتَ رحلْتَ ونحن نَبْقَى نُواصِلُ

نَمْ قَرِيرَ العَيْنِ واهْنَأْ شَيْخَنَا   نحن نعاهد لن يكِلَّ المِعْولُ

ما أعظَمَ الشُّعراءَ يوم فِرَاقِهِم   حتى القضاء صديقُهُمْ لايَقْتُلُ

تومي عياد الأحمدي

الجزائر العاصمة: 15 جوان 2005



نسبه:

ينحدر نسب الشيخ محمد بن عبد الله الشبايكي المدعو "الشبوكي" من عائلة "آل الشبوكي" التي تنتسب لعرش "آل حميدان"، أحد أكبر بطون قبيلة "النمامشة" المنتشرة بولاية تبسة وجنوبي ولاية خنشلة، إلى غاية الحدود التونسية شرقا وحدود ولاية وادي سوف جنوبا. وهي من أكثر القبائل البربرية عددا، إذ تتجاوز ستة ملايين نسمة. ولعل أشرف ما يميز هذه القبيلة المجاهدة حملها لواء تفجير الثورة التحريرية الكبرى وماضيها الجهادي الكبير ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم، حتى إن الرئيس الراحل هواري بومدين رحمه الله قال في زيارة له: "تحت كل حجر في هذه المنطقة جمجمة شهيد من شهداء ثورتنا الخالدة".

ميلاده ونشأته:

ولد الشيخ محمد الشبوكي رحمه الله سنة 1916م بمنطقة ثليجان التابعة لدائرة الشريعة ولاية تبسة. في أسرة محافظة تخضع لعرف صارم تتميز به المنطقة عموما إلى جانب الكرم، المروءة الشجاعة، الأنفة التواضع، الإقدام والأخلاق الحميدة الفاضلة. وهي

الصفات التي شربها صبيا، وتحلى بها حتى آخر أيام حياته، وانعكست في شعره وفي سلوكاته وعلاقته بالآخرين.

تعليمه

أول منبع علمي نهل منه الشيخ الراحل كان أشرف الكتب على وجه الأرض، كتاب الله عز وجل، الذي حفظه مبكرا على يد معلم في البيت في البداية، ثم في كتَّاب الأسرة، كما حفظ عددا من المتون العلمية المتنوعة وأشعار العرب القديمة. وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من التعليم يتميز بالصرامة الشديدة وبذل الجهد الكبير، لكنه يغرس في الصبيان صفات حميدة وقدرة على تحمل المسؤولية في سن مبكرة. وفي أوائل الثلاثينيات، انتقل إلى واحة "نفطة" بالجنوب التونسي أين تتلمذ على أيدي شيوخ أجلاء كان لهم فضل كبير في نشر العلم والمعرفة، منهم: الشيخ محمد بن أحمد الشيخ إبراهيم الحداد، الشيخ محمد العروسي العبادي الشيخ التابعي بن الوادي، رحمهم الله جميعا. فأخذ عنهم مبادئ النحو والصرف والحساب، ومبادئ اللغة العربية والفقه الإسلامي والأدب العربي. وفي سنة

1934، انتقل إلى تونس العاصمة والتحق بجامع الزيتونة، قبلة طلاب العلم آنذاك من شتى بلدان شمال إفريقيا. فتعمقت تجربته العلمية وتفتقت مواهبه الأدبية. ونظرا لاجتهاده وتفانيه، أحرز شهادة "التحصيل" سنة 1942، وهي السنة نفسها التي عاد فيها إلى أرض الوطن.

نضاله الإصلاحي والثوري

تحت ظلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انخرط الشيخ محمد الشبوكي في سلك التعليم معلما ومديرا بالمدارس الحرة. وكانت تجربته الأولى بمدرسة "تهذيب البنين والبنات" بمدينة تبسة، ثم بمدرسة "الحياة" بمدينة الشريعة، ثم بمدرسة "التربية والتعليم" بمدينة باتنة. وإلى جانب مهنته النبيلة، كان داعيةً في صفوف جمعية العلماء وعضوا نشيطا بها، يقدم الدروس التوجيهية ويساهم في توعية إخوانه من المواطنين ويغرس في نفوسهم حب الدين الإسلامي وحب الجزائر.

وعندما اندلعت ثورة نوفمبر 1954 الخالدة، وُجهت أصابع الاتهام الكولونيالي إلى كل مناضلي وأنصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ولما اعتقل الشيخ

العربي التبسي رحمه الله كانت الدائرة الاستعمارية تُحكم حلقاتها على كل من شارك في تعليم اللغة العربية، أو ساهم في نشر مبادئ الإسلام في الأوساط الشعبية الجزائرية وتسلط عليه عقوبات قاسية. لكن الشيخ محمد الشبوكي رحمه الله لم يرضخ لمخاوف الممارسات الاستعمارية بل انخرط أوائل سنة 1955 في أول خلية ثورية أُسست بمدينة الشريعة، مكلفا بالتوجيه والإعلام والدعاية للثورة المجيدة.

حياته في المعتقلات

تعرّض الشيخ محمد الشبوكي للاعتقال

في ليلة شتائية باردة، ذات العاشر من شهر فبراير 1956، ألقت السلطات الاستعمارية القبض على الشيخ محمد الشبوكي رحمه الله، مما عرَّضه لاستنطاق بشع ثم زُجَّ به في معتقل "الجرف" الوحشي القريب من المسيلة، ثم رُحِّل إلى معتقلات أخرى في غرب ووسط البلاد مثل معتقل لودي بالمدية.

لمن يجهل وحشيتها..

صورة عن الحياة في المعتقلات الاستعمارية

تناول الأستاذ محمد الطاهر عزوي في كتابه "ذكريات المعتقلين" الصادر عن "منشورات المتحف الوطني للمجاهد" ذكريات المعتقلين الجزائريين بكثير من التفصيل. وللتذكير، فإن الأستاذ محمد الطاهر عزوي تقاسم مع الشيخ محمد الشبوكي ويلات المعتقلات الفرنسية، إذ يقول: "المعتقل هو مكان يُجمع فيه الناس وتقيّد حريتهم فيه، ويساقون إليه نتيجة لفوضى طارئة أو لثورة قائمة، فلا يتعرض المُعتقل للمحاكمة، بل يبقى مرهونا بحياة الحوادث الطارئة ويتعرض للعذاب النفسي. وهو يختلف عن السجن في كونه لا يفرض لباسا معينا على المعتقلين، كما تختلف ظروفه المعيشية حسب الإدارة التي تسيّره. إضافة إلى أن المعتقلين يتمتعون ببعض الحريات داخل المعتقل مثل الاطلاع على الصحف، الاستماع للإذاعة، والتنقل في المراقد والتفسح في الفناء وممارسة الرياضة والتعليم الفردي".

لكن؟

المعتقلات الفرنسية ليست بهذه الصورة، إنها أقل شأنا من حظيرة الحيوانات. يختفي فيها الجانب الإنساني وتُمارس فيه شتى أنواع التعذيب وتُداس فيه كرامة الإنسان.



الشيخ محمد الشبوكي في المعتقل يتدارس كتاب الله



الشيخ محمد الشبوكي مع رفقائه في معتقل لودي بالمدية سنة 1959



عندما أُطلق سراح الشيخ محمد الشبوكي رحمه الله يوم 13 مارس 1962، بعد معاناة في المعتقلات دامت 06 سنوات كاملة، التحق مجددا بسلك التعليم فعمل أستاذا ثانويا إلى جانب نضاله في صفوف جبهة التحرير الوطني وعضويته في المجلس الإسلامي الأعلى. ثم انتخب رئيسا للمجلس الشعبي البلدي لبلدية الشريعة من 1963 إلى غاية 1975، ثم عضوا بالمجلس الشعبي الولائي لولاية تبسة ليتقلد رئاسته بعد ذلك، وأخيرا نائبا بالمجلس الشعبي الوطني في فترته الثالثة.



الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات وعلى يساره الشيخ محمد الشبوكي سنة 1983

سنواته الأخيرة ووفاته

قضى الشيخ محمد الشبوكي رحمه الله سنواته الأخيرة، التي شهدت فظاعة العشرية السوداء وبدايات الانفراج، في بيته المتواضع بوسط مدينة الشريعة بعيدا عن الأضواء، يتآكل قلبه لما وصلت إليه البلاد من فوضى وهي التي حملها على عاتقه مثل كل شهداء الثورة ومجاهديها المخلصين وكان يحس بالغربة والحسرة. فقضى آخر أيامه زاهدا بعيدا عن الأنظار حتى إنه قلما يشارك في تظاهرة ثقافية أو مجلس أدبي أو سياسي، وسرعان ما تناساه أبناء جلدته كأنه لم يكن، لولا بعض من تبقّى من جيل الثورة الذين يدركون حجم الرجل وثقله. ويا للمأساة! جيلنا لا يعرف مؤلف النشيد الخالد "جزائرنا" الذي طالما نسب لغير أهله.

وكل حظ الشيخ من وطنه:

- ديوان شعري صدر له سنة 1995 عن منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
- شريط تلفزيوني واحد يتناول بعض جوانب من حياته.
- تسمية قصر الثقافة بولاية تبسة باسمه.
- تناوله الدكتور عثمان سعدي بالكتابة.
- القليل من المقابلات الصحفية.

- تكريم من جمعية محمد الأمين العمودي.
- ...؟؟

وفي سنة 1999، بارك مسار التصالح والإصلاح الذي حمله الرئيس عبد العزيز بوتفليقه، لكن ثقل السنين وحالة المرض التي أرهقته في سنواته الأخيرة جعلته لا يغادر بيته إلا نادرا، حتى انتقل إلى جوار ربه يوم 15 من جوان 2005م، تاركا وراءه عبقا شعريا نادرا للوطن وللأجيال، حريٌّ بنا أن نوليه الاهتمام ونتناوله بالدراسة وننقله للأجيال.





الشيخ محمد الشبوكي: الشاعر ورجل السياسة



الشيخ محمد الشبوكي وعلى يمينه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة
31 مارس 1999



ثورة شعرية
في مقابلة مع مجلة الجيش سنة 1983

قصر الثقافة محمد الشبوكي بتبسة – منظر خارجي-



توطئـــة

أكثر من ستين عاما من الإبحار في يمّ الشعر لم تكن كافية لقول كل شيء، ولكن الشيخ محمد الشبوكي اجتهد في طرق جل الأغراض الشعرية، وذلك ما يمكننا اكتشـافه عنـد قراءتنـا ديوانـه الوحيد الـذي صـدر سـنة 1995 عن المتحف الوطني للمجاهد، بعد جهد جهيد بذله الشيخ وهو يصارع شامخا عبء سنوات الشيخوخة المرهقة.

ولـولا إصـرار أصـدقائه ومحبيـه لمـا جمـع درره المتنـاثرة، لأنـه فقط لـم يكن ينظم الشعر لتسلط عليـه الأضـواء، بـل ليصـور خلجاتـه الصـادقة النابعـة مـن التفاعل اليومي مـع مستجدات المراحل التـي عايشـها وحتـى يكـون وطنيـا وإنسـانيا علـى طريقـة المجاهـدين الكبار والشهداء البرره، فهم وإن كتبوا يومياتهم مع الثورة بالرصاص والكفاح المسلح، فإن شعراء الثورة وأدبائها منحوها عمرا أطول ونقلوها بروحها وعنفوانها للأجيال المتلاحقة.

وهذه أكثر من عشر سنوات عن إصدار الطبعة الأولى من ديوانه الوحيد، لم ينل فيها حقه من الدراسة والكتابـة عنـه، حتـى إن مـا تـم سحبه نفد تماما، ومن

الصعب عليك أن تجد نسخة حتى في المكتبات العمومية. فلماذا لا يعاد طبعه؟ ولماذا كل هذا النكران لشاعر فحل مازالت أناشيده تصدح في ربوع الجزائر ويحفظها الصغار والكبار على شاكلة النشيد الخالد:

جزائرنا يا بلاد الجدودْ
نهضنا نحطم عنك القيودْ
ففيك برغم العدا سنسودْ
ونعصف بالظلم والظالمينْ

قراءة في ديوان الشيخ الشبوكي

إن قراءة هذا الديوان توحي بعبق الماضي الجميل وزمن الشعر الواضح ووضوح أصحابه. فهو تسجيل وامتداد لوقائع لم نكن لنسمع عنها شيئا لولا تلك القصائد الوصفية في أغلبها لشاعرنا الفذ، والتي تصول وتجول بنا في أماكن متعددة، وتخبئ في أجوائها أحداثا متنوعة تتوزع بين الفرح والألم.

تقديم الديوان لكاتبه الأستاذ محمد الطاهر فضلاء

اختار الشيخ محمد الشبوكي، رحمه الله، الأستاذ المرحوم محمد الطاهر فضلاء ليضع تقديما لديوانه

نظرا للصداقة الأخوية والنضالية التي كانت تجمعهما سنوات طويله. وقد كان هذا الأخير من أكثر الملحين على الشيخ ليجمع شتات قصائده في ديوان شعري.

يقول الأستاذ محمد الطاهر فضلاء في مقدمة تقديمه: "سيعرف القراء أن الشعر الذي يحمله هذا الديوان إنما هو شعر عربي توشّحه الموهبة، وتصقله المعرفة وتجمّله الروح الفنية. وهو وحده يقدم نفسه على محفة مركبة "فينوس" في جماليات الإغريق، مجللا بأكاليل الحدائق البابلية، ناطقا بلغة سفر الخلود من "ذكر الله" الذي تطمئن به القلوب... فماذا لي أن أقدمه؟ ما المطلوب مني أن أقدمه في هذا الديوان؟ الشعر الذي في الديوان؟ أم شاعر الديوان؟ وكلا الأمرين صعب المرتقى، عسير الوصول فيه إلى غاية المرتجى.. فهل سأفعل؟ بلى وربي".

عن شعر الديوان

يقول الأستاذ محمد الطاهر فضلاء، رحمه الله، إن هناك ميزات مميزة للشعر قد يتوفر إدراكها لناقد يستأنس- فطريا- بروح شفافة تلتمس النسيم العليل بين هضاب وسفوح الأحلام الوردية، فتتجمع له قدرات

المعرفة التي يدرك بها لغة دبيب النمل في الهمس، ويقرأ منها حروف آيات الكون بين تلك النسائم فيسمع لحن النغم مهموسا كأنه الدوي...!

والشعر – متى كان هكذا– لا يتقيد بالمتعارف من التقاليد في التعبير والتحبير، بقدر ما ينسجم مع الكلمات الناعمة نعومة طيات الورد وهي تحضن بذورها ورحيقها، وتتراسل مع أذواق عشاقها بشذاها وأريجها.

ذاك هو الشعر في عليائه، نظما كان أم نثرا، لأنه يأخذ روحه وكساءه من الفطرة السليمة والسليقة الحميمة دون أن يغفل عما تمنحه القدرة الأبدية من التقويم الأعلى، ليستمد منها دوما أصوات ومداد كلماته، فتغدو بدعا من الشعر المعجز الممتاز...!

فمن منا لا يهتز انتخاءً وطربا وهياما لتلك التركيبات الأدبية البالغة الإعجاز، من ذلك "السهل الممتنع" من النثر الفني الذي يباركه سحر الشعر في أسمى وأرقى مستوياته ومعانيه ومغانيه..؟!

عن شاعر الديوان

هو ذلك الصوت الذي أضناه الشوق، وبرّحه الجوى وخنقته العبرة من الأسى، فغدا يحاكي في زفراته أنين العود المتقطع الرنين، المكدود الصوت، المبحوح الأنفاس والنغم. يريد أن يضع بلغته الحالمة أنفاس الخلود من تساؤلات شاعر الهند العظيم في أحلامه الغافية، وحداءاته الضافية، من مثل قوله:

في غابة الشرق (ناي) يبتغي نفَسا   يا شاعر الشرق، هل في نفسك النفس؟

وهو زيادة عن ارتباطه العضوي بعهود النبوة، أين كان شعراء المهاجرين والأنصار يذودون عن الحمى، هو أيضا العالم، الأديب، الفنان الذي يلتزم مهنة العالم المعلم في اختيار موضوعاته وأساليب لغته العربية التي غذته بخصائص معارفها، حتى صارت له سليقة لا يحتاج فيها إلى مصادر ومراجع التحقيق والتصحيح.

فرصيده اللغوي والأدبي ومروياته الشعرية والنثرية ونماذجه ومحفوظاته التراثية والموسوعية... كل هذا كان يحمي قلمه من الزيغ الشائن ويحفظ لسانه من الخطأ المشوّه. فهو حين يتحدث خطيبا، وتسعفه العربية

ببيانها، يتمايل مع أسلوبه المشرق الجزل فتخاله أشبه ما يكون بأستاذه العلامة الشيخ العربي التبسي، رحمه الله، في العلماء الشهداء الأبرار.

أما حين يشرع شاعرنا محمد الشبوكي في إنشاد شعره وشعر غيره أيضا، فيكون هادئا متجاوبا مع أفكاره وعواطفه.. فإنك تخاله ذلك الفنان الواعي الذي يمسك بقيثارته في حنوّ، فيعزف عليها لحنا منغما مختلف الألوان، دونه دوي الأمواج في هديرها حول الأعماق أو خرير مياه النبع وهي في انسيابها على الحصى.

عن قصائد الديوان

قصائد الديوان في مختلف مواضيعها واتجاهاتها بمفرداتها الجزلة القوية وبالتزامها التقاليد والأصول الأساسية للشعر العربي، تدل بمكانتها العميقة البعيدة المدى وتدعو إلى هذا الأصل الأصيل دون أن تقف في معارضة الصور الشعرية الحية المترقرقة الزاهية بألوانها الحمراء والقرنفلية.

الشعر في منظور الشيخ الشبوكي

يرى شاعرنا الفذ في مقدمة ديوانه، أن قصائده واضحة في الشكل والمحتوى، وهي الطريقة التي يرتضيها في نظم الشعر. فهو لا يتعامل مع اللفظ الذي لا يؤدي معنى واضحا أو مقصودا مثلما يفهمه كل الناس، وبذلك فهو يبتعد عن الرمزية والإغراق في المبهم، والتهويم في الضبابية التي تجعل المضمون غامضا، متلاشيا مع السراب.

وبذلك، فالشعر في نظره هو الذي يسبق معناه لفظه في الوضوح والإشراق، فيُطرب له السمع وتهتز له النفس، موافقا بذلك قول الشاعر العراقي "جميل صدقي الزهاري":

إذا الشعر لم يهززْك عند سماعه فليس خليقا أن يُقال له شعرُ

والشعر أيضا انتفاضة وجدانية وشدو روحي وأريج ينبعث من تجاويف القلب، كما ينبعث شذا الزهرة من الزهرة، فينبغي أن يكون بريئا من كل ما يشوب العفوية والبراءة.

ارتباط القصائد بالزمان والمكان

كل قصائد ديوان الشيخ الشبوكي ترتبط ارتباطا وثيقا بزمان ومكان محددين، وهو ما يبدو جليا في الهامش النثري المرفق مع كل قصيد. وقد أشار في المقدمة إلى أن ولادة قصائده شهدت أحداثا متنوعة أثناء الثورة وبعد إشراق شمس الاستقلال. أما القصائد التي نظمها قبيل الثورة فقد ضاعت كلها أثناء فترة اعتقاله، إذ عند عودته لمنزله وجد مكتبته الخاصة قد تعرضت للإتلاف، حيث عاث فيها الجيش الفرنسي فسادا عند احتلاله مدرسة "الحياة" التي كان معلما ومديرا بها ولمنزله المحاذي للمدرسة.

الأسلوب الشعري

الشاعر محمد الشبوكي متحكم في ناصية الشعر السهل الممتنع، لذلك نجد أسلوبه سلسا مفهوما مباشرا لكنه قوي ومرصوص رصًّا فنيا محكما، زاده بهاء تحكمه في الأوزان الشعرية وتوظيفه للحس الموسيقي العذب. فعندما تقرأ قصيدة من قصائده تعيش حالة سماع لأغنية خالصة التلحين والتوزيع الموسيقي، وأسلوبه يقترب من أسلوب مفدي زكريا لكنه لا يطابقه.

مملكة اللفظ

أسّس الشاعر محمد الشبوكي مملكة لفظية غاية في الجمال والدقة، تعكس ثراء قاموسه اللغوي وتنوع ثقافته الشخصية التي تشكلت عنده بفعل قراءته المتنوعة كنوز التراث الإسلامي، أدب السير والتراجم الخطابات السياسية، الكتابات الفكرية والمتون الشعرية العربية القديمة.

ورغم أنه لم يستعمل كمّا هائلا من الألفاظ، إلا أنه كان محترفا في حنكة توظيف الكثير من الألفاظ في مواقع متعددة من قصائده من دون أن تكون بينهما وصلة تشابه أو تطابق. وقد يتساءل سائل: لماذا لم يخرج من هذه الدائرة رغم ثقافته اللفظية الواسعة؟ فتكون الإجابة: لأنه مشدود إلى قضيته الوطنية، فلم يكن حرا ليكتب ما يشاء في ظل تلك الظروف الاستثنائية التي كانت البلاد تتخبط فيها. فقد كانت الثورة شغله الشاغل، وبناء وطنه وازدهاره هو غايته الكبرى. بالإضافة إلى ضعف القاموس اللغوي العام في تلك الفترة، الذي لا يحتاج إلى الكثير من التهويم والضبابية على حد تعبير الشيخ محمد الشبوكي، بقدر ما يحتاج

إلى ماهو في المتناول من شعر يتماشى وظروف الشعب.

أفكار وطنية بإحساس إنساني

تتبع أفكار الشاعر محمد الشبوكي من رحم ثورة التحرير الكبرى. فهو من الرجال الذين نذروا حياتهم وأدبهم لخدمة قضية الوطن العادلة، ولهم ولاء شديد لها وكل خروج عنها يعتبر منطقة محرمة، ولا يصح الخوض في أي شيء آخر احتراما للقضية. وهذا نوع من الزهد النابع من عمق الوفاء والإيمان الراسخ بمبادئه.

لذلك نلاحظ أن ديوانه يندر فيه مثلا شعر الغزل وهذا ليس عجزا منه، فهو يتمتع بعاطفة قوية وإحساس متدفق ورؤية مثالية للجمال والموسيقى والوجود.. إنما حالة من العزوف العلني عن إعلان الكتابات الشخصية تسرب إلى داخله بسبب التلاصق والتلاقح الشديد بين شخصيته وبين قضايا الوطن. هذا ما تمكنا من قراءته في أوراقه المكشوفة بمحض إرادته، لكن مكتوباته الأخرى التي لم يكشف عنها ربما تحمل مفاجآت أخرى تغير في أذهاننا هذه الصورة العالقة.

الفكرة تسبق الشكل

في مجمل قصائد الشيخ الشبوكي نلاحظ أن الفكرة تسبق في سيطرتها على القارئ شكل القصيدة. فغايته الأولى هي الوصول إلى هدف محدد يتمثل في الترويج للأفكار الوطنية التي تحتاجها الثورة بمفهوميها (الحربي قبل الاستقلال، والسياسي بعده). فالشاعر لعب عدة أدوار: (الصحفي المخبر، المحلل الاجتماعي والاقتصادي، المعلم الملقن، رجل السياسة المحنك، الأديب المفكر، الداعية الموجه والمواطن البسيط). وكل هذه الأدوار تعزف على وتر واحد هو خدمة الغايات الكبرى للحرية والتنمية الشاملة. بمعنى أنه اشتغل أكثر على عمق الفكرة، لكنه بالمقابل ألبس أفكاره حلة أسلوبية ولفظية تتناسب معها حتى تضمن وصولها إلى أكبر عدد من الناس.

قراءة في قصائد الديوان

جمع الشاعر محمد الشبوكي قصائده في باقات شعرية تشترك كل واحدة منها في نفس الموضوع، وهي تسع باقات محكمة: (وطنيات، دينيات، أناشيد اجتماعيات، ذكريات، مناسبات، ذاتيات، منوعات وإخوانيات).

باقة القصائد الوطنية

شملت هذه الباقة الشعرية إحدى وعشرين قصيدة منظومة أغلبها على بحري (الرمَل والمتقارب). وهما بحران شعريان غنائيان خفيفان، شائع أن تنظم على متنهما الأناشيد. وميزة النظم على هذين البحرين متاحة بشكل واضح لدى شعراء منطقة أوراس النمامشة، وذلك ليس من قبيل الصدفة بل تأثرا بالإيقاع الموسيقي التراثي الخفيف السائد في هذه المنطقة. وهو مزيج من التراث الموسيقي (الشاوي) والتراث الموسيقي جنوبي تونس. ولعل القارئ الكريم سيلاحظ أن أغلب قصائد الديوان إنشادية يسهل تلحينها وغناؤها بنجاح. وهو ما تحقق للشاعر محمد الشبوكي من خلال قصيدة "جزائرنا يا بلاد الجدود" ونشيد الأكاديمية العسكرية لمختلف

الأسلحة بشرشال، التي لحنها الأستاذ "هارون الرشيد" وبعض القصائد الأخرى.

فضل الشاعر أن تكون فاتحة ديوانه قصيدة "لبيك يا ثورة الشعب"، التي نظمها بعد معركة الجرف(1) الشهيرة. وهي قصيدة تحمل إحساسا عميقا بمكانة الثورة المباركة في نفس كل المناضلين السباقين لحمل لوائها المقدس والشاعر واحد منهم. فهو يعترف علنًا بتلبية نداء العمل الثوري المسلح بكل جوارحه بعد أن فشلت السياسة في إيجاد حل مع المستعمر:

فما السياسة أجدت في مطالبنا	ولا الشكاوى أفادت عبر ماضينا
إن السياسة أوهام مضللة	يا طالما عرقلتنا عن مرامينا

كما يعتبر اندلاع الثورة تحت لواء جبهة التحرير لحظة حاسمة تضع نقطة النهاية لزمن طويل من المعاناة، التي صنعتها بكل وحشية غطرسة الاستدمار الفرنسي. فهي بمثابة طهارة للأرض ودواء فعال لكل الأمراض التي وقَّعها المستعمر في كل زوايا الوطن

(1) من أشهر معارك جيش التحرير الوطني ضد العدو الفرنسي، حدثت في أواخر سبتمبر سنة 1955 في جبال الجرف التابعة إداريا لدائرة الشريعة ولاية تبسة، ودامت هذه المعركة ثمانية أيام تكبد فيها الاستعمار خسائر فادحة في العدة والعتاد.

بكل خبث ولا إنسانية، لذلك فهو يلبي نداءها بكل جوارحه وقوته:

لبيك يا ثورة الشعب التي زحفت تطهّر الأرض من رجس المناوينا
أنت الدواء لشعب عزّ مرهمُه فطالما داؤه أعيا المداوينا

ثم ينتقل للاستشهاد بمعركة الجرف العظيمة، أين نال الجيش الفرنسي حقه من الانكسار والخيبة تحت الضربات القوية لسواعد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فحققوا نصرا مبينا بتحطيمهم أسطورة العدة والعتاد. ثم يذكّر فرنسا بأن ليل الظلم ينجلي حتما ما دام هناك ثائرون مؤمنون بالقضية:

والله ينصر كل الثائرين على ظلم الأعادي وإن كانوا فراعينا

وفي آخر القصيدة يثني على بعض المواقع في ولاية تبسة التي شهدت معارك ضارية، رفعت راية النصر وأحبطت غطرسة الجيش الفرنسي. مذكرا بأن الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف في هذه المعارك إنما دماؤهم لله وللوطن. والعزم مازال قائما لاستكمال المسيرة دون خنوع أو يأس.

وفي قصيدة "دولة الشعب" التي قيلت في معتقل الضاية (بوسوي) بمناسبة تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1958، فقد عبر عن سعادته وغبطته بهذا الإنجاز الذي تحقق للشعب بفعل الثورة:

فرح القلب بعد طول اكتئابِ   وحداني الهوى وعاد شبابي
فترشفت من كؤوس الأماني   جرَعا ما ألذها من شراب
وازدهاني نصرُ البلاد فغنيـ   ـتُ وعانقت مزهري وربابي
فدعوني لنشوتي يا رفاقي   واعذروني في صبوتي ياصحابي

ومن خلال هذه القصيدة ندرك فعلا عظمة الرعيل الأول للثورة. والشاعر رغم حياته البائسة ومعاناته الطويلة داخل المعتقل، إلا أنه نسي نفسه ونسي وضعه المؤلم وتسامى في عليائه ينشد للوطن ويزهو لزهوه، كأن حياته لا تساوي شيئا أمام دمعة فرح واحدة يشترك في ذرفها كل الجزائريين. ثم يدعو الجبال التي احتضنت ثوار الجزائر إلى الصمود أمام القنابل ونيران الحرائق في انتظار حلول ربيع التجدد:

فاصمدي فالربيع يحنو على الأر   ض ويأسو جرَاحها في الإيابِ

وعلى لسان جيش التحرير الوطني، يتحدث شاعرنا عن الإنجازات العظيمة التي حققها الثوار ضد

المستعمر حتى تسمع بها كل الدنيا، وتعرف جدية الثورة وعدم تراجع رجالها، مدججين بسلاح الإيمان بالقضية العظيمة:

أقسمـــوا بالله ألا ينثنـــوا ويَروا جيش الأعادي في انخذالِ
ويروا أرضَ الحمـى في عـــزةٍ ترفع الرأس إلى أوْج المـــعالي

ثم يذكّر فرنسا الغاشمة بأن التاريخ يدوّن في أوراقه ملاحم الجزائر المندلعة في كل شبر من أراضيها، وأن اعتقادها بأن الثورة مجرد حركة غير منظمة سرعان ما تتخمد أمام ضرباتها القوية ليس إلا هراء فرنسي:

أقلعي عن غيّـــك الأعمى فقد طلع الفجر على هذي الجبالِ

ثم يخاطب جيش التحرير ويدعو رجاله للصمود، ففجر النصر قادم لا محالة:

إن نصـر الله وافى أســـرعوا لاغتنام النصر بالسُّمر العوالي
خبّـــروا الدنيا جميـــعا أننا أمـــة ثارت لتقــرير المـــآل

وفي ملحمة "من ملحمة الثورة" يسقط تهميش الزمان والمكان لكن قارءها يدرك ببساطة أنها نظمت بعد الاستقلال خاصة في بيتها الثالث:

سبعٌ ونصفٌ خاضهن مصمّما حتى أنال الغاصبين المصرعا

وفيها يحاول الشاعر أن يؤرخ لبعض الملاحم التي وقعت في مناطق شتى من أرض الجزائر الطيبة وعلى رأسها "الجرف الشهير"، فينتقل من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، ويذكر أسماء بعض المواقع التي تلقت فيها فرنسا ضربات موجعة لكنها صنعت بالمقابل رواجا للثورة في العالم حتى صار يضرب بها المثل، وأصبحت رمزا لكل الشعوب الباحثة عن الحرية والاستقلال، وهو ما يفخر به شاعرنا:

هذي جزائرنا الفسيحة أخصبت أنحاؤها والعلم فيها أمرعا
وتألقت بمحافل الدنيا وقد نالت بهمّتها فكانت أرفعا
مَن مثل شعبي في الكفاح ومن غدا يبني الحياة كمن بنى متطوّعا

وتأتي "تبسة الصامدة" القصيدة التي نظما في 04 مارس 1956 في معتقل الجرف (قرب المسيلة) عندما سمع بأن حريقا مهولا شب بسوق تبسة تسببت فيه قوات الجيش الفرنسي، وفي هذه القصيدة تخيل هذا الحدث الذي لم يشهده لكنه ترك أثره البليغ على نفسه فيقول واصفا:

لفّها الليل واللهيـب المسعّرْ ودخانٌ يعلو المنازل أحمرْ

ودهى تبسة المجيدة هـولٌ روّع الآمنيـن ليلا وحيّـرْ

أحرقوا أسواقها وعاثوا فسادا في حماها ومارسوا كل منكرْ

أي جيش قد أشعل النار فيها ومشى في أحيائها يتبختر

يقتـل الأبرياء أنّـى رآهـمْ مثل (نيرونَ) في العتوّ وقيصرْ

لكن رغم شراسة ما فعلته فرنسا، فإن تبسة تبقى صامدة في وجه المخربين كحصن منيع يصعب اختراقه، والشاعر يتعاطف مع الذين سقطوا في هذه المحرقة ويتأسف لما حدث:

تبسـة المجـد ساءنا خبـر الحـرقِ ومضّ القلوب منـا وكـدّرْ

ضمّدي الجرح وابشري إن فجر النصـر قد لاح نـوره وتفجّـرْ

وانبهارا بجيش التحرير الوطني ينظم أبياتا ستة في معتقل الجرف (قرب المسيلة) سنة 1956 مادحا فيها أعماله الجليلة وإصراره على مواصلة درب الجهاد. وهذه الأبيات تلبس ثوب أغنية أو أنشودة وطنية:

أدى اليمين وصمما وإلى الكفاح تقدمـا

لله جيـشٌ ثائـرٌ رام التحـرر بالدما

ومن القصائد التي ولدت بعد عشرين سنة من الاستقلال قصيدة "قم أنشد الشعر"، وفيها مديح لأمجاد الوطن وإنجازات الثورة العظيمة التي أصبحت مفخرة لكل الشعب:

على هامة "الدكان" قم أنشد الشعـرا	ورتلّ على سمع الدنا آية الذكـرى
ووقّع على أوتــار ما طفحـتْ به	صحائف مجد في جزائـرنا الشـقرا
وفاخر بشعبٍ جاد بالروح في الوغى	وفي غمرة الأحداث قد أحرز النصرا
وسجّل ففي دنيـا التواريــخ ثورة	أقر بنو الدنـيا بقيمـتها الكـبرى

ودون أن ينسى جبهة التحرير حاملة اللواء، التي أعادت المجد للجزائريين، وكانت القناة المنظمة لكل أعمال الثورة الكبرى:

وما جبهــة التحــرير إلا قيادةٌ	مباركة التاريخ حققت البشــرى
أعادت لنا المجد الذي ضاع حقبة	ومن حلكة الأظلام أطلقـت الفجرا

ثم ينتقل لوصف جزائر الاستقلال التي ازدانت بإنجازات جديدة من لدن مرحلة البناء والتشييد. فكأني بالشاعر يقوم بمقارنة بين الجزائر المحتلة والجزائر المستقلة ليبرز ما تحقق بعد طول معاناة، ويقول لكل المناوئين بأن الشعب الجزائري قادر على البناء لذلك فهو يخاطبه:

أقــول لــه والإعتــزاز يهــزني	رزقتَ جميل الصبر لا تهمل البذرا
فأنت الذي تبني الرفاهــة في الحمــى	وأنت الذي لولاك ما عُرف اليُسرا

ويواصل شاعرنا جهاده بعد بالشعر، ناظما قصيدة بمناسبة الملتقى الثالث لكتابة تاريخ الثورة يدعو فيها المجاهدين إلى ضرورة مواصلة المسيرة. فإن كان جهاد الأمس بالسلاح فجهاد اليوم بالعلم والعمل والحفاظ على مكتسبات الثورة. وهو على ما يبدو لاحظ انحراف بعض إخوانه عن رسالتهم النبيلة، ما فتح الباب من جديد لأطماع أعداء الوطن والمتاجرين به:

واحرس ربوعك من ذوي الأطمـ	ـماع عشاق المكائـد
اللاعبين على حبالِ الغـدر	روّادِ المصـائـد
المخـرِبين بيــوتهــم	الراكضين إلى الموائد

كما راح يذكرهم بضرورة التمسك بالدين الإسلامي ودستور البلاد وميثاقه، على اعتبار أنها سر النجاح لاقتحام المستقبل وتحقيق مكاسب أفضل.

وفي قصيدة "مناجاة نوفمبر" يمدح ويناجي شهر البطولات والأمجاد لكونه نقطة البداية التي أزاحت الستار عن سنوات الظلم والعذاب. وبذلك فهو ملحمة لا تنسى على مر الزمن، وسيبقى خالدا ما عاش هذا

الشعب. وكلما حلت ذكراه إلا وأعادت أطياف الرجال الـذين قهـروا أسـطورة الاسـتعمار وحطمـوا جبروتـه وأضاف لبنة أخرى لبناء الدولة الجزائرية العصرية لذلك يبقى الجميع أوفياء له ولأمجاده:

شعبنا كله يحييك يا شهـ رُ ويحبوك بالثناء المعطّرْ

شعبـنا كله سيبـقى وفيّا لعهود الكفـاح لا يتغيـرْ

ثم يشير إلى أن جيل الاستقلال يواصل مسيرة البنـاء والتشييد ليغير وجه الجزائر إلى الأفضل، ودليلـه فـي ذلك إنجازات عهد الاستقلال:

نحن نبني الجـزائر البيـضاء لا ننثـني ولا نتـأخـرْ

ونعيد المجد الذي كان دهرا نجمه في الوجود قد ظل يُزهرْ

أمـا قصـيدة "إلـى النصـر هبّـوا" المرفوعـة لأرض فلسطين المقدسـة فتعكس الحس القومي لشاعرنا الفذ، فهو يتجاوز حدود القضية الجزائرية إلى قضايا الأمة العربية، وعلى رأسها قضية القدس المقدس، فهو يدعو إخوانـه هنـاك إلى الوقوف في وجه العدو الصهيوني الغاشم الـذي اغتصـب الأرض ونكّل بالعباد وأبـاح مقدسات المسلمين:

إلى النصر هبوا بني فلسطينْ وكروا على الظلم والظالمينْ
إلى القدس ثالِثة الحرميـــنْ هلّموا وهبوا بنا زاحفيـــنْ
لطرد الصهاينة الآثمينْ

وبالمقابل، يصب جام غضبه على الأمة العربية التي لا تحرك ساكنا لما يحدث في فلسطين، وكأن الأمر لا يعنيها ولايحرك فيها نخوة العروبة وإباء المسلمين:

ألا أيهـا العُـرب أين الإباءْ وأين الحميـة أين العـطاءْ
فلسطـين تدعوكـمُ للفداءْ فما لكمُ اليوم صـرتم هـباءْ
ألستم بني أمة الفاتحينْ؟

ثم يرفع تحية إلى المقاومين يطلب منهم إعادة زمن "صلاح الدين" الذي تحرر بفضله بيت المقدس، ولقن اليهود والنصارى درسا في الدفاع عن شرف المسلمين وصمودهم وتضحيتهم في سبيل الحفاظ على المقدسات:

أعيدوا (صلاحا) لنا من جديدْ وأَجلوا عن القدس رِجس اليهودْ
وأحيوا لنا المجـد ذاك التليدْ وبَروا عهـود الأبـاة الجـدودْ
وكونوا بحقّ لهم وارثينْ

وفي ختام القصيدة يثني على أطفال الحجارة الذين ضربوا المثل في الصمود أمام آلة الخراب اليهودية:

لقد ضربوا المثل الأوحدا بما قدموا من ضروب الفِدا
فكانوا الضراغم رَغم العِدا وما لَهمُ من صفوف الـردى
فطوبى لأبطالنا الرافضينْ

لتأتي قصيدة "الشباب الجزائري الثائر" التي نظمها في معتقل الضاية (بوسوي) سنة 1958 متدفقة بالمشاعر القوية والعاطفة الجياشة، وهو يفتخر بشباب الجزائر الثائر، الذي سما للمعالي بحزم واصطبار ليقهر أسطورة فرنسا وذلها المفروض، أملا في العيش الحر في سماءات بلاد أجداده:

فيه يجري دم العروبة فـوّار تحدو به خصال الجدودِ
ليتحدى الأحداث مهما ادلهمت ويلاقي الردى بقلبِ صمود
كل شيء أمامه ممكن هيـنّ إذا كان وصلة للخلودِ
عزمات الشباب فيض من النو ر وموجٌ من الكفاح الشديد
إنما تبتني الشعوب على أكتافها المجد من زامٍ بعيدِ
أيها المغرم المتيم بالمجـ ـد تقبـّل تحيتي ونشيدي

ويهيم عشقا ببلاده في قصيدة "الشاعر المستهام" التي نظمها في معتقل الضاية (بوسوي) سنة 1957 فتتبعث منها مشاعر قلب رومانسي حالم بتصويره للجزائر على أنها مكمن الجمال الأعظم الذي كان من المفروض أن يتنعم به شعبه في حرية وسلام:

متى يشتفي الشعب من كُربه   ويخلص من خَطبه الغاشم
ويطلع في الأفق نجم السعو   د ويأفل نحس الشقا الجاثم
ويكتسح النور نجم الظلام   ويسطو على ظلمه الآثم
هناك يحلو انتشاق النسيم   على ضفة الجدول الهائم

ويعود مجددا إلى صميم القضايا العربية متحدثا عن منظمة "فتح" الفلسطينية في قصيدة "لا حق إلا في البنادق" التي يخاطب فيها منظمة التحرير ويصفها على أنها الفجر الذي يطلع على الأمة العربية ليوقظها من سباتها العميق، ويبعث فيها نخوة النهوض لنفض العار الذي يحاصر فلسطين، كما يشيد بأبطالها الذين وقفوا كشوكة في حلق بني صهيون، وصاروا يمثلون الحلم العربي لاستعادة فلسطين المغتصبة:

يا (فتح) يا حلما تحقق بعد أطياف كواذبْ
إني لأهتف من هنا من أرضنا أرض المناقبْ
لا حق إلا في البنا دق والمدافع والكتائبْ

وفي أواخر الستينيات وفي نفس المسار، يلهمه عنوان مجلة "آفاق عربية" لينظم قصيدة هي بمثابة رسالة يخاطب فيها الأمة العربية، مشخصا أسباب تراجعها واستكانتها لوضعية الذل والهوان التي استغلها الأعداء ليشنوا حملتهم الشرسة عليها، مذكرا إياهم بأن مكمن القوة لمجابهة هؤلاء الأعداء هو الوحدة والاتفاق. فكلما توحدت الشعوب العربية واتفقت، انتصرت وارتقت، وكلما تشتت أمرها كلما أصيبت بالخيبة والذل:

أيها العرب، يابني الثورة الكبـ رى ألسنا ذوي النفوس الأبيه
أين إيماننا وغيرتنا المثـ لى وأين الفدا والحميه؟
مالنا اليوم يستبد بنا القـ م ونرضى في أرضنا بالدنيّه

ولأن الشرف الفلسطيني هو شرف كل العرب، فهو يضع يده على هذا الجرح ليحرك الغيرة في كل أبناء "يعرب" مستشهدا بالقائد التاريخي صلاح الدين الذي يرى أن حركة "فتح" هي خليفته:

وفلسطين أرضنا كيف تحتل	تراها عصابة همجيه
أين أبناء يعرب الصيد هل في	كم -بني القوم- من صلاحٍ بقيه
إن في "الفتح" آية النصر فامضوا	كلكم في "العواصف" الفتحيه

ويعود الشاعر إلى أرض الجزائر مادحا ومناجيا جبال الأطلس الأشم الصامد الذي يحتضن المجاهدين ويشهد على بطولاتهم، ويلهم مرتاديه الشعر والحكمة، حتى أصبح ذا رمزية في نفوس ثوار الجزائر:

أيها الشاهق الذي يلهم الشعر والحكمْ
انت رمز لأمة كافحت كل من هجمْ
واستردت كيانها وبنت كل ما انهدمْ

وفي آخر القصيدة يصف إحساسه وهو يتأمل جبال الأطلس فيستوحي منها لغة الجمال والحكمة، وتتدفق مشاعره لتصبح كلِمًا شعريا أخاذا:

كلما شام ناظري	قمم الأطلس الأشم
جاش بالشعر خاطري	وحلا في فمي النغم
وتناولت مزهري	واستجابت ليَ الكلم

وبشوق كبير يعانق شاعرنا وطنه الحبيب بمجرد خروجه من معتقل (عين وسارة) في 13 مارس 1962 وكان آخر المعتقلات التي ذاق ويلاتها، بقصيدة

"وطني" وأجمل ما فيها هو الصدق اللامحدود ومساحة واسعة من الأمل والفرحة، وكأنه يعود إلى مهده الأول ليكبر من جديد في سماء جديدة وتراب جديد:

وطنــي يا وطنــي الأسمــى ويا	فرحتي الكبرى ويا أرض الجدود
فيكَ أشتم عبـير المجـد دوما	وأنا في نخـوة العـز الجـديدِ
في رباك الشـم تزهـو ذكرياتي	فأناجيها ويحلـو لي نشيـدي
يا نعيما لسـت أهـوى غيـره	أنا في حُضنـك ذو عمرٍ سعيد
كـم أباهـي بمزايـاك التـي	فاقت التعداد من عهـدٍ بعيـدِ

وكل قصائد الاستقلال عند شاعرنا لم تكن سوى تكملة لمسيرته الثورية ووفاء لذكرياته مع الجهاد والكفاح والأرض. وهذه قصيدة "تحية أرض الفدا" التي ألقاها في الـ20 من أوت سنة 1981 بمدينة "بئر العاتر" أثناء تدشين نصب تذكاري تعكس ما قلناه سالفا، فهاهو يهيم بأرضه ويمثلها كصبيّة بالغة الجمال نشأت بينه وبينها علاقة عشق أزلية:

أحببتـهـا في صغري	هِمت بها في كبـري
كم لي بها من فرحة	في ريفـها والحضـرِ

ليمر على بعض المحطات التاريخية التي غيّرت مجرى الأحداث وفي مقدمتها نوفمبر الخالد، موعد البدء في إزاحة الظلم والظلام القاتم بفضل جهود جبهة وجيش التحرير ورجالهما الأبطال. ورغم كل ما كتبه من شعر لوطنه فهو يحس أنه لم يقل شيئا:

دعني أمجّدْ وطني روحي له والبدنِ
ربي به شرّفني أكرمْ به من موطنِ

باقة القصائد الدينية

تعكس هذه الباقة جوانب التكوين الديني للشاعر محمد الشبوكي، الذي شرب من منبع القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة في طفولته وشبابه، فارتوى من معين الثقافة الإسلامية، وتشبع بقيمها النبيلة، ولم يتخل عنها تحت أي ظرف حتى وهو يذوق ويلات العذاب في المعتقلات الهمجية. ولم يكتف بذلك بل راح يعلمها لإخوانه رغم الحصار والقمع الذي تعرض له في يومياته الصعبة تلك.

فهاهو يبتهل لله عز وجل ويهيم في سحر ملكوته وإعجازه ويدعو إلى غاية الإنسان الكبرى في الحياة:

عبادة الله وحده. وهي الرسالة التي لا يجب أن يتقاعس عنها:

بدا النجم وضّاحا يبشر بالفجرِ　　　فقم لصلاة الله منشرح الصدرِ
فهذا عبير الصبح ينفح عابقا　　　يضمّخ أبناء البسيطة بالعطر
وذي نفحات الله فاغنم نوالها　　　وأخلص دعاء الله في السر والجهر

وهاهو يناجي هلال الصوم وهو يمضي عامه الرابع في المعتقل دون أن يتخلى عن واحد من أهم أركان الإسلام وهو الصوم، رغم مشقة القيام به في ظل الظروف المعيشية الصعبة، إذ يستقبل موعد حلول الشهر الفضيل بابتهاج وشوق كبير:

يا هلال الصوم يا خير هلالْ　　　فيك أطيافٌ من السحر الحلالْ
لحُت في الآفاق وضّاح السنا　　　مشرق الطلعة موفور الدلالْ
في محياك تراءت ذكرياتٌ　　　تملأ الكون بأضواء الجلالْ

ثم يهيم بليلة القدر المباركة وبيوم العيد الذي يُلبسه ثوب الفرح، ويطلب منه أن يوزع المسرات على الشعب الجزائري الثائر ضد الاستعمار، وهنا يبدو التداخل النبيل بين القيم الدينية والوطنية في شخصية الشاعر محمد الشبوكي. بعد ذلك يهيم بالحج وهو يقف أمام الحرم النبوي الشريف الذي زاره سنة 1988. ليختم

الباقة الدينية بابتهال آخر يستغفر فيه الله عز وجل ويرحل مع صفاته الجليله.



الشيخ محمد الشبوكي (صورة ملتقطة في المؤتمر الإسلامي)

يتدفق الشغف بالموسيقى رقراقا عند الشاعر محمد الشبوكي لذلك نجده مولعا بنظم الشعر الغنائي، وفي إشارة سابقة تطرقنا إلى كون أشعاره يسهل تلحينها وترديدها غنائيا. وتعتبر قصيدة "جزائرنا" الغنية عن كل تعريف والتي يحفظها الكبير منا والصغير مفخرة الشاعر وصانعة مجده.

هذه القصيدة العصماء التي انطلقت كلماتها مدوية منذ جانفي 1956 في كل الربوع على ألسن المجاهدين وعبر إذاعة "صوت الجزائر"، وفي الجبال وفي كل المحافل التي تحتضن قضية الجزائريين مع المحتل تُصنف في تاريخنا الخالد كواحدة من أروع الأناشيد الوطنية الحماسية الثائرة. فهي أبلغ رسالة على الإطلاق عبرت عن داخل الثوار وإحساسهم وعهودهم، التي قطعوها لتحرير الوطن بالنفس والنفيس.

ففيها نلمس حقيقة انتماء هذا الشعب لأرض أجداده وعلاقته الأزلية بها، وأمام اغتصاب المستعمر لها لما يزيد عن قرن وربع قرن، يقف وقفة رجل واحد لاستعادة السيادة وإخراج المحتل صاغرا ذليلا:

جزائـــرنا يا بلاد الجدودْ   نهضنا نحطم عنك القيودْ
ففيك برغم العدا سنسود   ونعصف بالظلم والظالمين

ثم نقرأ أحاسيس الشاعر في المقطع الثاني تجاه الجبال التي احتضنت الثورة، فكان فيها موعد الرصاصات الأولى ثم أصبحت معاقل للمجاهدين، إليها يأوون للتخطيط ولتنفيذ عملياتهم ضد قوات المستعمر:

سلامــا سلاما جبال البلادْ   فأنت القــلاع لنا والعمادْ
وفيك عقدنا لواء الجهـادْ   ومنك زحفنا على الغاصبينْ

وفي المقطع الثالث يشيد بقوة جيش التحرير وحنكته أمام عدة وعتاد الجيش الفرنسي التي لم تمكنه من فعل أي شيء أمام صمود الثوار وإصرارهم على النصر فأصابتهم الحسرة والذلة:

قهــرنا الأعــاديَ في كــلّ وادْ   فلم تُجدِهم طائـرات العوادْ
ولا (الطنك) ينجدُهم في البوادْ   فباءوا بأشلائهم خاسئـين

أما في المقطع الرابع فهو يشيد بالمعارك التاريخية ضد المستعمر التي شهدتها العديد من الواقع في مختلف أنحاء الجزائر، فأصبحت كالروايات التي تذهل الناس وتشدهم إلى أحداثها، فيتم تناقلها بينهم حتى تصل إلى

أبعد الحدود، فيضرب بها المثل بالأوراس الأشم الذي أجهز فيه المجاهدون مرات عديدة على المحتل:

وقائعنا قــد روت للورى   بأنا صمدنا كأسد الشرى
فأوراس يشهد يوم الوغى   بأنا جهزنا على المعتدين

وغير بعيد عن الأوراس يستشهد بمعركة الجرف يوم تعلم المستعمر درسا قاسيا في البطولة والتضحية:

سلوا جبَل الجُرف عن جيشنا   سيخبركم عن مدى جأشنا
ويُعلِمُكــم بمــدى بطشنا   بجيش الزعانفــة الآثمين

ثم يشيد بجبال "جرجرة" و"الجبل الأبيض" وكل فج ومكان شاهد على الثورة، مذكرا بأن الشعب الجزائري شعب أبيّ له جذوره التاريخية التي تعود إلى حقب الأجداد الفاتحين الأوائل:

بجرجرة الضخم خضنا الغمار   وفي الأبيض الفخم نلنا الفَخارْ
وفي كل فجّ حَمَــينا الذّمــارْ   فنحــن الأباة بنو الفاتحيــن

وعلى لسان كل الشعب يجدد العهد للشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف، ويعدهم بالوفاء حتى تحقيق النصر. وبالمقابل يرفع معنويات رفاقه الأحياء من

المجاهدين ويزرع فيهم ثقة النجاح رغم كل الصعاب التي تعترض طريقهم:

نعاهدكم يا ضحايا الكفاحْ — بأنا على العهد حتى الفلاحْ
ثقوا يارفاقي بأن النجـاحْ — سنقطف أثمـــاره باسِمــينْ

وفي تصاعد سروري كبير، يدعو إخوانه للهتاف بأن مصير الثورة هو النصر الأكيد وكأن الشاعر يراه بعينيه. وفي ذلك نبوءة خارقة لا تتأتي إلا لأصحاب النظرة الثاقبة والاستعدادت المتميزة:

قفوا واهتفوا يا رجال الهممْ — تعيش الجبال ويحيا الشّممْ
وتحيا الضحايا ويحيا العلمْ — وتحيا الدمـــاء دما الثائـرين

وفي معتقل لودي (قرب المدية) سنة 1960 يحرّض كل الشعب للالتحاق بالعمل الجهادي:

قدموا الأرواح في ساح الوغى — أنقذوا الأوطان من عسف العِدا
وأعيدوا يا رفـــاقي للحـــمى — مجده الغض الأثيل المفتـدى

ليجيء نشيد "بنات العرب" الذي يشيد فيه بخصال المرأة العربية:

نحن بنات العَرَبِ من مثلُنا في النسبِ
أمجادنا معلومــةٌ مكتوبةٌ بالذهـــبِ

ونشيد الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة بشرشال الذي لحّنه الأستاذ هارون الرشيد ومازال إلى حد اليوم يصدح في ساحة الأكاديمية الشماء ويرافق طلبتها في تكوينهم:

من هنا... من قلعة المجـ ـد وشرشـــال الأســـودْ
من هنا... من جبـــل التـ ـاريخ في أرض الجدودْ
نجتني العرفـان كي نحمـ ـي أمجـــاد الوطـــنْ

ونشيد "نحن بالإسلام نبني مجدنا" الذي نظمه وألقاه بمناسبة الملتقى الثامن عشر للفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر العاصمة بين 10 و16 جويلية 1984.

نحن بالإسلام نبني مجدنا وبه نحيـا ونعـلي شـأننا
ليس تغرينا تفاهـات الدنا نحن قوم شِـــرْعنا قرآننا
هو حقا رحمة للعالمينْ

ثم أناشيد (الفلاح، النجم الرياضي لبلدية الشريعةتحيّي الجزائر الـذي كتبـه الشـاعر ليغنيـه المطـرب العربـي

الكبير وديع الصافي لكن الظروف لم تسمح بذلك أبناء الحياة...) وغيرها من الأناشيد التي لم تنشر في ديوانه.

باقة القصائد الاجتماعية

يتداخل الشاعر في هذه الباقة مع قضايا المجتمع الجزائري خلال فترة الاستقلال، فيكتب قصائد تحمل في طياتها رسائل موجهة إلى الشعب بمختلف فئاته لينهض بقوة ويعمل بصدق وإخلاص لتنمية البلاد في ظل النظام الاشتراكي السائد آنذاك.

ففي قصيدة "ثورة خضراء" التي نظمها بمناسبة الإعلان عن الثورة الزراعية سنة 1973، يوجه لومه إلى الفلاح الذي هجر الريف والحقول ونزح إلى المدينة تاركا وراءه أرضه عرضة للخراب، فيدعوه للعودة:

يا من هجرتَ الريف تبحـ	ـث في المدينة عن نصيبِ
وتركت حقلَك للخـرا	ب ينام في صمتٍ رهيبِ
عُد يا أخـي فالريـف نا	دانا فهل من مستجيـبِ
عد يا أخـي فالريف عا	د شبابُه بعـد المشـيبِ

وفي قصائده (مضى زمن الحرمان، إلى الفلاح الجزائري، ازرعوا في الريف، أسباب الغنى) نلمس علاقة وطيدة بين الشاعر والأرض وعالم الريف وفن

الزراعة، فهو يرى أن الأرض وحدها مكمن الكنوز التي تحقق الرفاهية ومبعث الحياة الرغدة.

باقة قصائد الذكريات

لا شك أن حياةً مثل حياة الشيخ محمد الشبوكي تحمل الكثير من الذكريات والأحداث التي عاشها هنا وهناك، فجدير أن تستخرج أسرارها وحكاياها. فهو وإن حاول نقل بعض تجاربه وذكرياته، فهناك كمّ كبير منها مازال خفيا ينتظر الباحثين ليكشفوا عنه الستار.

ففي ذكرى وفاة الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس يقول:

يا ابن باديس بلغت المنتهى ... في طريق المجد والعز التليدِ

أنت للأجيال قطبٌ وإمام ... أنت دوما قدوةٌ للنشء الجديدِ

قد نصرت الضاد في محنتها ... ونصرت الدين في الظرف الشديدِ

اسمك الخالد لا يبرحنا ... أنت للشعب هنا أغلى رصيدِ

وفي ذكرى استشهاد معلمه الشيخ العربي التبسي عليهما رحمة الله يتذكره بحرقة وحنين:

ذكرتك فاهتاجت همومي وأشجاني وغادرتُ شعري وفارقتُ الحــاني
وأحيت جراحُ الذكريات مواجــعي وأذوت رياح الفقد أوراق أغصاني
ذكرتك يا شيخي فهـزت جوانحي تواريخ عهدٍ بيننا خالــدِ الشانِ

وفي ذكرى وفاة الشاعر الفذ محمد العيد آل خليفة نظم قصيدة ألقاها بمدينة بسكرة بتاريخ 03 مارس 1983:

عاش للشعر والأدبْ عاش يستنهض العربْ
عاش للشعــب نافعا ثائرا دونما صخــبْ
أنفقَ العمـــر داعيًا قومه للــذي وجــبْ

وبمناسبة الاحتفال بذكرى حوادث 08 ماي 1945 بمدينـة قالمـة سنة 1985، أرسل قصيدة إلـى الأستاذ محمد بن قطان، أمين محافظة جبهة التحرير الوطني والمشرف على المهرجان:

لولا نوفمبر ما رنّت بك الكلِـــمُ يا شهر ماي ولا غنّى بك القلَمُ
ولا احتفى بك شعب عاش ملحمة نكراء فيك ادلهمت شرّها عمـَمُ
خرّاطـــةٌ وسَطِيفٌ ثـــم قالِمـــةٌ مناطقٌ عمّها التقتيــلُ والنّقـَمُ

باقة قصائد المناسبات

قصائد هذه الباقة قيلت في مناسبات متنوعة، كان الشيخ يشارك فيها أو يعيش أحداثها فيساهم بما جادت قريحته الشعرية، على غرار: ملتقيات الفكر الإسلامي

مجالس الشعر والأدب والفكر، إحياء المناسبات التاريخية، مهرجانات وزيارات... ويمكن الاطلاع على هذه القصائد في ديوان الشيخ الشبوكي الصادر عن منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

باقة قصائد الذاتيات

حتى قصائد الشيخ الشبوكي الذاتية لم تخرج عن إطار التأمل في ذاته كذات مقيدة، فهو لم يسمح لها بالإبحار في العواطف الشخصية والرغبات الدنيوية الموجودة عند كل إنسان. لذلك يبدو صلبا زاهدا يتحرى مرضاة ربه ويهيم في تأمل ما تراه عيناه وما يحسه قلبه من خلق الله. ويبدو أن سنواته التي قضاها في المعتقل طبعت على شخصيته حالة من التهويم بعين ثالثة في الأشياء، ما جعله يقيم علاقة ذاتية معها. تأمل مثلا هذا المقطع من قصيدة "بيني وبين قلبي":

لِمتى تؤرّقك النجومُ	وتسبيك رؤى الصباحِ
وتظل تخفق للصبا	بة في لياليك الملاحِ
يا قلب يا ابن جوانبي	أفنيت جسمي بالسهرْ
وتركتني أحيا عليلا	لا يفارقني الضررْ

وتأمّل أيضا حالة الرغبة في الهروب في قصيدة "سئمت الدنا" التي يتوق فيها إلى العيش في مكان وزمان آخرين، لا يشبهان دنياه الحقيقية ليتفرغ لعبادة ربه ويغسل نفسه من كل رجس علق بها:

سئمتُ الدنا وكرهتُ البشرْ	وتُقت إلى العيش فوق القمرْ
هنالك كيلا أرى غير كونٍ	تزينّه رائعات الصور
بريء من الزور والتـرّها	ت بعيد عن الكبريا والبَطَرْ
جوانحه طاهرات الظلال	وآفاقه طافرات العِبَرْ
يوحّد فيه الفتى ربه	بقلب تطهّـرَ من كل شرْ
فأحيا هناك فريدا سعيدًا	أناجي الإله وأرجو الظفرْ

باقة قصائد المنوعات

تتنوع قصائد هذه الباقة بين عدة مواضيع أغلبها في مديح تونس الخضراء، لما تحمله بين جوانحها من ذكريات عاشها الشاعر على أرضها:

أتونسُ يا أرضًا يهيم بها القلبُ	ويُزهِرُ في دنيا سُويدائه الحبُّ
إليكِ التحايا من جزائرنا التي	تركت لكِ الشوقَ الذي لم يزل يربو
سلاما بلادَ العلمِ والمجد والفِدا	ومهدِ الألى هاموا بحبّك مُذ شبّوا

وبعض الحوارات الداخلية مثل التي حملتها قصيدتا "الهامة والبلبل" و"الشاعر والملك".

باقة قصائد الإخوانيات

هي رسائل شعرية يرفعها الشاعر إلى أشخاص لهم مكان خاصة في قلبه، يعترف فيها بمكانتهم عنده وتقديره لهم وعرفانه بجمائلهم.

ملاحظة:

الباقات الثلاث الأخيرة تستحق الكثير من التحليل والإمعان، وهي تشكل موضوعا قائما بذاته يستوجب الدراسة.



مقابلة لجريدة

النصر

بتاريخ 16 اكتوبر 1982
اجراها: حسان الجيــلالي

مؤلف النشيد الثوري (جزائرنا) يبــوح بأسـراره بعـد صمـت طــويل

إلى وقت طويل، ظل الجميع يتساءل عن مؤلف النشيد الوطني "جزائرنا". وعن قصة هذا النشيد الذي ظل يردد الوطن بأكمله دون أن يعرف أحد من قائله. وقد نسبه بعضهم إلى الشاعر "مفدي زكرياء". وذهب بعضهم في نسبته إلى عدة مذاهب. لكن الحقيقة ظلت مجهولة ولا تعرفها إلا فئة قليلة جدا. هذه الفئة التي تعرف أن هذا النشيد من تأليف الشاعر محمد الشبوكي، الذي مازال يكتب في الخفاء ويخزّن ما يكتبه في خزانة خاصة ويغلقها بكل مفاتيح الكرة الأرضية، ويشد إحكامها. وكأني به يخاف النور والأضواء إذا لاحقت قصائده وأشعاره، أن تمسحها وترد الصفحات التي كتبت فوقها إلى أوراق ناصعة البياض لا حياة فيها.

كان هذا أول لقاء صحفي معه، ذلك أنه يهرب من الصحافة ويهرب من الأضواء ولا أعرف سببا منطقيا لذلك. لقد كان يعيش حياة هادئة في رحلة يومية بين مدينة الشريعة أين يسكن، وتبسة حيث يعمل بصفة

وتواضع كعادته وفي كل مواقفه الحياتية. أفصح لي ببعض كنوزه الشعرية التي لم تر النور إلى ذلك الوقت ودخلنا معا في دردشة حول مختلف قضايا الفكر والإبداع والأدب. ولكن الوقت لم يسعفنا نظرا لانشغالاته المتعددة، فقررنا أن نؤجل الجلسة إلى المساء.

وفي بيته وفي جلسة هادئة بعيدا عن بروتوكولات الإدارة وروتين المكاتب والأرائك الوثيرة التقيته، وطلبت منه أن يسمعنا بعض قصائده القديمة والحديثة.. تردد في البداية، ولكنه أسرع إلى خزانته وأخرج منها الكنز الهائل، وكان يقرأ على مسمعي كل ما جادت به قريحته الشعرية. في البداية كان يقرأ القصائد بخجل ربما لأنه لم يقرأ قصائده من قبل أمام أحد، ولكن انطلقت به سريرته الشعرية إلى المزيد من القراءة. كان بجانبي الأستاذ محمد سعدي، وكان ويهلّل ويصغي ويتطلع أحيانا إلى هذا الكنز الهائل الذي تراكمت عليه السنون، وأثقلته الأيام بإهمالها وقلة عنايتها.

كنا في تلك الليلة وجو الشريعة الهادئ كالمجانين أو كالدراويش الذين يكتبون "الحروز" والمكاتيب

الصفراء تحت جنح الليل، ولكن الشاعر محمد الشبوكي واصل قراءة قصائده بحماس وروح ثورية متدفقة، وكأنه شعر لأول مرة في حياته بالأمان والطمأنينة، لأنه وجد من يصغي له ويتحمس لكل قصيدة يقرأها، أو أنه كان مقيدا وفجأة فك قيده وحلّت عقدة لسانه.. فقرأ أكثر من عشرين قصيدة كانت جلها في الوطنية والمناسبات الثورية. واستطعت خلال هذا اللقاء أن أكتشف تلك العبقرية المغمورة المدفونة تحت ركام الزمن. وكان لي مع الشاعر هذا اللقاء الذي لم أتبع فيه الطريقة التقليدية للقاءات الأدبية، بل تركت الشاعر يتحدث على سجيته ويبدي رأيه بكل حرية في مختلف مناحي الحياة الفكرية والأدبية. وهاأنذا أنقل آراءه بكل أمانة إلى القارئ الكريم:

بداية البداية:

يقول الشاعر: كانت محاولاتي الأولى لقول الشعر قد بدأت عندما كنت طالبا بالجامعة الزيتونية، وقد كتبت العديد من القصائد في تلك الفترة إلا أنني لم أكن مقتنعا بما أكتب، فكانت تختلج في صدري عواطف وأحاسيس أجد متنفسا لها في قول الشعر، لأن الشعر هو المتنفس

الوحيد الذي ألجأ إليه وقت الحاجة. فهوايتي لهذا اللون الأدبي كانت قديمة، إلا أني اليوم لا أستطيع أن أقحم نفسي داخل طابور الشعراء، بل مازلت أحاول ولا أدّعي أني وصلت وأني شاعر بأتم معنى الكلمة، فالمرء يصبو دوما لذلك.. بهذه الكلمات المتواضعة كان يحدثني الشاعر محمد الشبوكي.

الحياة في المعتقل:

عاش الشاعر محمد الشبوكي حياة مليئة بالمغامرات والمفاجآت، فقد حاول الاستعمار شل حركته في الكثير من المعتقلات، إلا أن المستعمر كان غبيا إذ أن هذه المعتقلات كوّنت الرجال الأبطال المفكرين والأدباء. فقد كانت هناك تنظيمات وندوات ومحاضرات تنظم في هذه المعتقلات، والأغرب من ذلك أنهم في المعتقل كانوا يدفعون الاشتراكات إلى قيادة جبهة التحرير الوطني.

عندما كان الشبوكي يحكي لي عن حياته في المعتقل، تسرّب بنا الحديث إلى عدة زوايا، ووجدت نفسي عاجزا عن تسجيل كل ما قاله، فالمواقف كانت مؤثرة، والحديث يطول في مثل هذه المواقف، ووجدت

نفسي لا أنقل إلا جزءا قليلا جدا من الحقيقة التي عاشها هذا البطل.

يقول عن حياته في المعتقل: لقد قضيت أكثر من ست سنوات في العديد من المعتقلات في الشرق والوسط والغرب الجزائري. وكنت أطالع الكتب التي أحصل عليها حينا بعد حين. وقد قرأت مجموعة كبيرة من الكتب الأدبية في ذلك الوقت، إلا أن المستعمر كان يحاصرنا ويمزّق الكتب أو الأوراق التي يجدها بحوزتنا. ورغم أنني كتبت العديد من القصائد الشعرية وأنا في المعتقل، إلا أن الاستعمار أحرقها كلها، ولم تنج من سطوته إلا بعض الأشعار القليلة.

وكان المعتقل فرصة لألتقي بالعديد من الشعراء الجزائريين أمثال: أحمد سحنون، خالد قويدري، عمر شكيري، خالد بن يطو، أحمد شقار والشاعر الشعبي عبد الرحمن قاسم. وعندما ألتقي بهؤلاء الشعراء يكون حديثنا متمحورا حول المواضيع الثورية والفكرية، فكنا نرسم تصورات عن الجزائر المستقلة. ومن المدهش حقا أننا كنا نؤمن بالجزائر المستقلة إيمانا راسخا لا تزعزعه قوة مهما كانت. وكنا ننظّم المحاضرات والندوات ونحن

في المعتقل، وكلها تدور حول بناء الجزائر المستقلة. وقد شكلنا لجنة خاصة بالتعليم حتى إننا في معتقل "بوسوي" بوهران لم نجد مكانا نعلم فيه إخواننا فخصصنا لذلك مكان الأكل الذي وضعه لنا المستعمر.

قصة النشيد:

كان محمد الشبوكي يحدثني بتواضع شديد وروح وطنية متدفقة أحيانا وهادئة أحيانا أخرى، يحدثني عن بعض المواقف التاريخية التي حضرها أثناء الثورة والدموع تكاد تنهمر من مقلتيه عندما يسترجع تلك الصور والمواقف البطولية.

لقد كانت فكرة تحرير الجزائر هي المسيطرة على أدباء هذا الجيل، فقد كانوا يحلمون بتحرير الوطن من نير العبودية والاستعمار. لذلك كان الشعر هو المعبّر الوحيد عن فكر وإحساس جيل الثورة، والشاعر محمد الشبوكي من هذا الجيل إلا أنه تعرض إلى إهمال كبير بعد الاستقلال، لأنه كان متواضعا ويهرب من أضواء وسائل الإعلام. وهذا التواضع فسره بعض المغرضين على أنه ضعف وسلبية، لذلك تركوه وأهملوه دون أن يحرك أحد ساكنا لينفض الغبار عن عبقرية ثورية

صادقة ومتواضعة. ولكن يكفيه فخرا أن نشيد "جزائرنا" الذي كان له شرف تأليفه، ظل يردده الوطن بكامله ومازالت تردده الألسن والقلوب بحماس وروح ثورية وثابة في طول الجزائر وعرضها. وحول قصة هذا النشيد يقول الشاعر محمد الشبوكي: "كان ذلك فى شهر جانفي من سنة 1956 عندما طلبت منى قيادة جيش التحرير كتابة نشيد وطني يتغنى به الثوار، وفي ذلك الوقت أوفد لي يونس محمد الربعي، أمين قيادة الجيش بالجبل الأبيض، الجندي محمد بعلوج، الذي ما زال حيا إلى يومنا هذا، طالبا مني أن أكتب له نشيدا وطنيا فكتبت نشيد "جزائرنا"، وأرسلته معه. وصار جيش التحرير الوطني يردد هذا النشيد إلى أن انتشر عبر كامل الوطن. ومن المؤسف حقا أن البعض ينسبون هذا النشيد إلى الشاعر "مفدي زكريا"، في حين أنني أنا الذي كتبته بالدليل والبرهان عندما كانت الثورة في قمة عطائها وعزها".

رأيه في الشعر الحر:

"لا أفرق بين أدب الشباب وأدب الشيوخ، فالأدب هو الأدب"، هكذا يصرح الشاعر محمد الشبوكي عن موقفه

من أدب الشباب وأدب الشيوخ. أما عن رأيه في الشعر الحر، فأنقله بكل أمانة وصدق، رغم أني أختلف معه في الرأي، إلا أني على استعداد لأن أدفع حياتي ثمنا للدفاع عن رأيه كما يقول "فولتير".

يقول الشاعر بهذا الشأن: الشعر الحر لا أتقبله كشعر وإنما أتقبله كنثر فني.. وإني من الذين لا ينتظرون من مدرسة الشعر الحر، إن صح التعبير، ما ينير آفاق المستقبل في بلادنا أو في العالم العربي، بل أذهب إلى أن هذا الشعر الذي ابتعد في شكله عن قواعد الشعر العربي، هو ثورة ضد الأصالة الشعرية العربية، وهذا ما يتمناه أعداء الثقافة العربية الأصيلة. والواقع أن الشعر الحر طريقة مقلدة للشعر الأجنبي الذي ليست له قواعد وأصول شعرنا العربي. فالذي تخشاه من هذا الشعر هو أن يزهد شبابنا الصاعد في شعره العربي الثري بقواعده وأصوله.

وكم أعجب من شعراء فحول ضربوا المثل الشرود في ميدان الشعر أمثال نزار قباني، السياب، نازك الملائكة، فدوى طوقان وغيرهم من الذين يستطيعون كتابة الشعر العمودي، ولكنهم لجأوا إلى كتابة القصيدة

الحرة.. أقول هذا مع احترامي الكبير للشعراء الشباب الذين يكتبون القصيدة الحرة. والواقع أني مبتهج بالشعر العمودي الذي يكتبه شعراؤنا أمثال: أحمد سحنون محمد الأخضر السائحي ومحمد بن رقطان. والواقع أن الشعر العمودي يرضي رغباتي ويلائم نفسيتي، لذلك فإني لا أتذوق الشعر الحر، ولم أحاول في حياتي كتابة قصيدة للشعر الحر.

الزهد في النشر:

التساؤل الذي يطرحه الجميع هو لماذا لم ينشر محمد الشبوكي شعره في مختلف وسائل الإعلام. هذا التساؤل حملناه بدورنا إلى الشاعر، فأجاب بقوله: "الواقع أنني لا أعطي قيمة لما أنتجه من الشعر، لذا تراني زاهدا في نشره في مختلف وسائل الإعلام، ولعلي في المستقبل أنشر ما يمكن نشره".

بهذا التواضع المفرط أجابني الشاعر محمد الشبوكي، مع العلم أن لديه حاليا مجموعة شعرية وأخرى نثرية، ولم يسبق له أن نشر بيتا واحدا من أشعاره ما عدا النشيد الوطني "جزائرنا" الذي نشر غصبا عنه.

إن موقفه من النشر موقف هروبي ولا يمكن لأدلته أن تقنعنا مهما كانت. لذا فالمرجو من شاعرنا المحترم أن يكسر جدار العزلة ويتقدم لنشر إنتاجه. فليس شعراء جيله وحتى جيلنا الحالي أكثر منه جودة أو أعتق منه فنا أو أكثر منه تحكما في اللغة، بل ويمتاز عنهم محمد الشبوكي بالتواضع والصدق والتحكم في اللغة.

أما الكلمة الختامية التي يقدمها محمد الشبوكي لشعراء هذا الجيل فهي قوله: "أتمنى أن يكثر شعراؤنا من إنتاج الشعر، يتغنون فيه بمحاسن بلادنا ويصورون آمالها وإنجازاتها التي تحققت. فالشعر غذاء روحي لا غنى للأجيال الصاعدة عنه وصدق من قال:

ولولا خِلالٌ سنها الشعرُ ما درى
بناةُ المعالي كيف نبني المكـــارمَ

ملاحظات ختامية:

ماذا يمكن للمرء أن يستخلص من حياة مناضل وشاعر، جاهد بالسلاح والكلمة الأمينة الصادقة وعاش حياة بسيطة متواضعة. فالشعر عنده ليس تقطيعا وأوزانا، وليس قافية وقوالب جامدة. إنه موقف ومبادئ وإذا خلا الشعر من الموقف فسيصبح دون شك تقطيعا

أجوف جافا، وشعراء ما قبل الاستقلال امتازوا بهذا الموقف فقلما تقرأ قصيدة لشاعر.

ألا يتضح جليا موقف صاحبنا، الشيء الذي كدنا نفتقده في شعراء ما بعد الاستقلال. وعلى العموم فإن لي ملاحظتين ختاميتين بهذا الصدد هما:

- لقد أصدرت مجلة آمال في الأشهر الماضية، الجزء الخاص بشعراء ما قبل الاستقلال، ولكن مع الأسف لم ترد في المجلة ولا قصيدة واحدة لشاعر الوطنية الأستاذ محمد الشبوكي الذي ظل اسمه مخفيا عن الأنظار. فلماذا هذا يا ترى؟ أم إن المشرفين على هذه المجلة يميلون إلى السهل والبسيط، ويجمعون مادتهم من مختلف المراجع التي تكون بين أيديهم دون البحث والتنقيب عما هو مخفي ونافع ومجدٍ؟

- الملاحظة الثانية هي أن الشاعر محمد الشبوكي رغم أنه مارس عدة وظائف رسمية كمدير مدرسة ورئيس بلدية ثم رئيس للمجلس الشعبي الولائي بتبسة، إلا أنه ظل يسكن في قريته الهادئة بمسكن وظيفي تابع للمدرسة التي كان يديرها ذات يوم. إنه رمز الإخلاص لمبادئه الوطنية والثورية.



مقابلة لجريدة

الشعب

بتاريخ 26 افريل 1983
اجراها: احمـــد دوغان

وقفة مع الشـاعر محمد الشبوكي

إن الثورات التقدمية في العالم حظيت بقسط وافر من الأدب الذي يمثل الثورة ونضالها، وتفاعل معها لأنه نتيجة طبيعية أو صرخة حق تطالب بها هذه الثورة. ولعل الأدب يأخذ دورا فعالا في عملية التحريض الثوري. ومن هنا كان للأدباء الدور الطليعي في العمل الثوري من أجل إعلاء كلمة الثورة، وتصعيد النضال. ودليلنا على ذلك ما تعرض له الأدباء والمفكرون من العذاب في الجزائر أيام الثورة والحرب التحريرية لأنهم حملة أقلام. وشاعرنا محمد الشبوكي ليس شاهد عيان، بل هو واحد من الذين لاقوا العذاب والسجن لا لشيء إلا لأنه كتب نشيدا ثوريا علاوة على كونه أحد المناضلين. والنشيد الذي كتبه الشبوكي هو نشيد مجاهد ويعرف الكبير والصغير مطلعه "جزائرنا يا بلاد الجدد". وهاهو الشبوكي يحدثنا قائلا:

كنت في مدينة الشريعة التي لا تبعد إلا قليلا عن المكان المعروف باسم "الجرف"، حيث كثرة عساكر العدو التي تكالبت للفتك بمجموعة من المجاهدين وعلمتُ بالنصر الذي أحرزته الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة الباغية. فانفعلت بأمجاد هذه الثورة العظيمة

وامتلأت نفسي غبطة وسرورا بهذه المآثر التي كانت على كل لسان.

وبينما أنا على هذا الحال، إذ اتصل بي أحد رجال جيش التحرير وقال لي: إن الإخوان من قادة الناحية يطلبون منك أن تبعث إليهم بنشيد ثوري ليتغنى به الجنود. وسجلت النشيد ولم تكلفني صياغته إلا سهرة واحدة، فقد كنت ممتلئ الجوارح اغتباطا بثورة نوفمبر واغتباطا بثورة "الجرف" التي لا أشبّهها إلا بغزوة بدر الكبرى. سلمت النشيد في صباح اليوم التالي إلى مبعوث جيش التحرير، ثم ألقي علي القبض وسُقت إلى عدد من المعتقلات.

وشاعرنا الشبوكي، من خلال هذا التصريح، يبدو أنه كان متفاعلا مع الثورة. وعند العودة إلى بعض قصائده التي سلمت من التفتيش الاستعماري نجدها تجسد ثورة نوفمبر بما فيها من بطولات وإيمان مجاهديها بالنصر. فهو يقول في قصيدة له بعنوان "لبيك يا ثورة الشعب":

لبيكِ يا ثورة الشعب التي زحفت	تطهّر الأرض من رجس المناوينا
أنت الدواء لشعبٍ عزّ مرهمه	فطالما داؤه أعيا المداوينا
هذي معاركنا يا قوم شاهدةٌ	أنّا جهَزنا على قوّات غازينا

والله ينصر كلّ الثائرين على ظلم الأعادي وإن كانوا فراعينا

ويتابع نصه متعرضا إلى بعض المعارك التي خاضتها الجزائر لتكون وثيقة زمنية على الجهاد:

لله تلك الدماء الزاكيات سقت (عذوانَ والجرف والزرقا ونقرينا)

جاءت بها نخبة باعوا نفوسهمُ لله والوطن المحبوب راضينا

دوّت بنادقهم في كل ناحيةٍ فلُولهم في الفيافي غير واعينا

ثم يختتم قصيدته هذه، والتي قالها بمناسبة الذكرى الأولى لثورة نوفمبر:

نحن الألى عرف التاريخ صولتَنا منذ القديم، فهل دِنّا لغازينا

الأطلس الصامدُ المرهوب جانبُه بالنصر في حِليةٍ أمسى يهنّينا

من خلال هذه الأبيات نجد الشاعر يعيش ثورته بكل صدق. فهو يأتي بالصور الحية للنضال بدءا من انطلاق الثورة والتحام الشعب والمعارك التي حدثت، مؤكدا على الدور الذي لعبه الثوار، رغم أسلحتهم البسيطة (البنادق)، غير أنهم كانوا كما يبين الشاعر:

جاءت بها نخبة باعوا نفوسهمُ لله والوطن المحبوب راضينا

لا شك أن الإعلان عن تأسيس الحكومة المؤقتة عام 1958 الناتج عن فعالية الثورة، لم يفوّت الشاعر التعبير عن فرحته بذلك، وإن كان موجودا في معتقل (جبال الضاية). ذلك ما اعترف به الشبوكي لمحمد الأخضر الأعواطي، وتعبيره جاء في قصيدته (دولة الشعب يا بشائر فجر):

فرح القلــب بعد اكتئاب	وحداني الهوى وعاد شبــابي
فدعوني لنشوتي يا رفاقــي	واعذروني في صبوتي يا صحابي
فالبطولات عند قومي آيــاتٌ	تبدّت في عالمــي الوثــاب
دولة الشعــب يا بشائــر الفجر	قُدُسي بدا وراء السحـــاب
فارفعي الراية الحبيبة في القطر	فأنــا لنجمــها في ارتقـــاب

ثم ينتقل من نشوته إلى صور البطولة التي لا تنزاح عن ذاكرته لأنه يعيشها ويراها حتى ولو كان في المعتقل، ولهذا فهو ينادي:

يا جبال الأمجاد يا أطلس الفخر	ويا معقــل الأســود الغضــاب
أحرقَ الطاغوتُ غابَــك لكــن	هل يضير الأحرارَ إحراقُ غاب
فاصمدي للقنابل الهوج للنيران	للعســف للــرّدى للعذاب
فأنا نشــهد فعــرك لا يمحــو	صــداه بين الرُّبــا والهضــاب

وفي آخر نصه يتنبأ بالنصر معلنا:

فاصمدي فالربيع يحنو على الأرض ويأســو جراحهـا في الإيابِ

إن الشـاعر هنـا يقـدم لنـا لوحـات فوتوغرافيـة عـن الثـورة الجزائريـة. هـذه اللوحـات التـي عاشـها واقفـا، ثـم جسّدها فـي رؤيـة فنية، قد لا تكون فـي مستوى الحدث الثوري، ولكنها كانت معبرة عن إيمان شاعرها لثورته.

وإذا كان هذا إيمان الشـاعر الشبوكي بثورة نوفمبر وأحداثها، فإنـه يقف من الشباب الجزائري فخورا، لأنـه هو الذي قاد حركه التاريخ وكان في مستوى النضال:

فهو يبغي الحيــاة حرا ويأبى	ذِلّة العيش تحت عبء القيودِ
ثائرٌ يمـلأ الوجــــود كفاحــا	وينير الحيــــاة بالتجـــديدِ
صــادحٌ يملأ الفضـاء لحونـا	ويهــزّ الحيــاة بالتغـــريدِ

فالشاعر في هذا النص يعطي أكثر من موقف للشباب الجزائري، إنه "ثائر يملأ الوجود كفاحا" وهو "صادح يملأ الفضاء لحونا" وهو يتحدى الأحداث مهما ادلهمت ويلاقي الردى بقلب صمود.

كما أنه يطمح إلى حياة جديدة، وذلك بالكفاح، ولا ينسى أن يبين أن الشعوب تبني أمجادها على أكتاف الشباب.

كل ذلك يدل على أن الشاعر واع بالقضية التي يتبناها، فهو يعطينا الصورة الكاملة للشباب الذي يتحمل مسؤولية وطنه وشعبه.

وفي عام 1975 يشارك شاعرنا في مهرجان الشعر الثاني عشر الذي انعقد في الجزائر بقصيدته "إلى الفلاح الجزائري" التي جاءت في خمسة مقاطع وفيها يتعرض إلى وضعية الفلاح الجزائري أثناء الاحتلال، ومعاناته من ظلم الاستعمار، ثم انطلاقة الثورة، ومشاركته فيها، وبعث الريف على يديه في زمن الاستقلال. وهاهو اليوم في ثورته الزراعية يحيا بعزم وإيمان بقضيته:

أنت يا من حُرمت العلم في عهد الأعادي

وحرمت العيشَ والآمالَ في ظلّ البلادِ

فتمردتَ وكنت الشهمَ في ساح الجهادِ

أنت يا من كنت بالأمس وفيا لعُهودكْ

وبذلت القانيَ الأغلى فداءً لبنودكْ

فتحررت وسُدت اليوم في أرض جدودكْ

أتُراكَ اليوم مازلت على العهد حريصا وأمينْ

تبذل الجُهْد في ثورتك الخضراء رغم الكاسحينْ؟

وتنير الدرب بالإيمان والعزم لكل الحائرينْ؟

وتعيد المجد للأرياف رغم اليائسينْ؟

إن نظرة تأملية لهذه الموضوعات التي مررنا بها توضح أن الشاعر محمد الشبوكي ملتزم بقضايا شعبه. وقد كان ثائرا أيام الكفاح بالكلمة والفعل، دفع ضريبة ذلك السجن والمعتقلات. كما أنه لم يبتعد عن ثورته في ظل الحرية والاستقلال، لأن البناء يحتاج إلى ثورة تقوم على أكتاف الشباب. ولهذا فهو ينظر إلى الغد الذي يرسمونه بإرادتهم، ولما كان ريفي المولد والنشأة والكفاح فهو مؤمن بالثورة الاشتراكية عامة والثورة الزراعية خاصة. إنها "الثورة الخضراء"، ولهذا كان شعر الشبوكي جزءا من التاريخ الجزائري معبرا عن تطلعات شعبه.

أما فيما يتعلق بالرؤية الإبداعية، فما موقع شعر الشبوكي من الحركة الشعرية المعاصرة في الجزائر؟ لذا كان شاعرنا قد عرف بأناشيده الوطنية الثورية، فهو يدل على الغنائية التي لمسناها في هذه الأناشيد ومنها (أنشودة الشاب الجزائري) التي يقول فيها:

أنا ابن الجزائر أرض الهممْ ومهدِ البطولة منذ القــدَمْ

بها العزّ رتّل لحنَ الشّمَمْ وغنّى بها المجدُ حلوَ النغَمْ

فدوّى صداه طوال القرونْ

وإن كانت هذه الغنائية لا تظهر ظهورا واضحا في قصائده التي جاءت على الأبحر الكاملة، كما رأينا في قصيدته (لبيك يا ثورة الشعب) و(دولة الشعب يا بشائر فجر) رغم أن التلاحم العضوي في بنية القصيدة نابع في تمثله للحدث والشعور والموسيقى، وهو لا يتجاوز جيله. ولذلك تظهر قصائده ذات الأبحر الكاملة في تقليدية الشكل والصورة واللغة، عدا بعض النفحات التي تأتي بصورة فيها الحداثة كقوله:

فاصمدي، فالربيع يحنو على الأرض ويأسو جراحها في الإياب

رغم أن هذا البيت جاء خاتمة لقصيدة (دولة الشعب يا بشائر فجر) فإنه يكاد يمثل لغة وصورة شيء جديد يختلف عن التكوين في القصيدة كلها. ولكننا نجد أنه في قصيدة (الشباب الجزائري الثائر) يتجاوز التقليدية إلى الكلاسيكية الجديدة، أو أنه يزاوج بين الكلاسيكية والرومانتيكية وهو يقول:

قلبه خافقٌ يؤججه الشعرُ فيهفو إلى جمال الوجودِ

هذه النظرة الجمالية لم تكن في لغته السابقة حتى في القصيدة السالفة الذكر ، ونراه في نص آخر بعنوان (أمل الشاعر) يقترب من مدرسة "الشابي" أو جماعة "أبولو"، وهو في هذه القصيدة يشكل مسارا جديدا في التجربة الشعرية، رغم أن قصيدته كما يتبين لنا من خلال أبياتها أنها قيلت أيام الثورة، كما جاء فيها قوله:

متى يشتفي الشعب من كربه ... ويخلُص من خطبه الغاشمِ
ويطلع في الأفق نجم السعودِ ... ويأفل نحس الشقا الجاثمِ
ويكتسح النور جيش الظلامِ ... ويسطو على ظلمه الآثمِ

وتكاد الأبيات تكون ما بين اللغة التي تحدثنا عنها وبين الانطلاقة الجديدة، وهو القائل في بداية النص:

على شاطئ الحلُم الناعمِ ... وفوق ربى موجه اللاطمِ
يهيم بآماله الكبريا ... ت ويصبو إلى فجرها القادم
ويسكب ألحانه للجمالِ ... ويصغي إلى طيره الجاثم
ويهتف للنجم أمّا تجلّى ... ضحوكا على أُفْقه الغائمِ
يُرى تائها في قِفار الذهول ... نغَم في نايه الباغم
يُرى باسما بين جمع الأناس ... وما هو في الحق بالباسمِ

ثم تأتي الأبيات الثلاثة السالفة الذكر يقول بعدها:

هنالك يحلو انثيال النسيم على ضفة الجدول الهائم
ويعذب للشاعر المستهام نشيد الهوى السالب الصارم
فيمرح كالطفل في نشوة على شاطئ الحلم الناعم

كانت البداية في التأمل، ثم جاء الانتقال إلى الانفعال، فعودة إلى الطبيعة التي تأملها. وبذلك يكون قد أعطى لفنه تشكيلا جديدا رغم أنه التزم بحرا تقليديا.

لست أدري لماذا ظل شاعرنا بعيدا عن دائرة الضوء، حتى إن الكتب التي تناولت الأدب الجزائري بالدراسة لم تأت على أدب شاعرنا، فهل المقصود أن محمد الشبوكي شاعر أناشيد فقط؟ أو أنه يميل إلى الزهد ويبتعد عن الشهرة كما جاء في تصريح له عندما سأله محمد الأخضر الأغواطي.

لماذا لم نقرأ لك أو عنك في الصحف وأنت صاحب ثورة لا بأس بها من الشعر؟

"أولا إنني لا أعدو أن أكون متذوقا للشعر، فلا أفكر في مزاحمة الشعراء. وثانيا أنني من أزهد خلق الله في تسليط الأضواء على شخصي".

صحيح أن شاعرنا من الزهاد، ولكن هذا لا يكفي فكثير من الشعراء الجزائريين مالوا إلى الزهد أمثال محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون، أبو بكر مصطفى

بن رحمون، إلا أن سيرتهم وشعرهم قد أخذ حقه، أو بعض الحق.

يبقى رأي أخير أن شاعرنا قد يكون مقلا، ولكن ليس معنى هذا تجاهل شعره من قبل النقاد والدارسين.



مقابلة لمجلة

الجيش

عدد 236 نوفمبر 1983
أجراها: ح. بمجـــي

لقاء مع صاحب (جزائرنا)
الشاعـر محمد الشبــوكي

كـان يقيني أن الثــورة منتصرة لا محالــة

"ثقوا يا رفاقي بأن النجاح سنقطف أثماره باسمين"

نبوءة وطنية صادقة وصيحة ثورية رافضة حققتها تضحيات شعب عبر سنوات المحن والمعاناة التي عاشتها بلاد الجدود بكل الآلام والآمال في ثورة شعبية عارمة حطمت قيود القهر والاستبعاد. ثورة امتزج فيها الكفاح المسلح مع الكلمة المناضلة. فكانت "جزائرنا" إحدى القصائد الثائرة التي تغنى بها كل جزائري ورددتها ملايين الحناجر في حماس فياض، معبرة عن إرادة شعب في التحرر والانعتاق. وقد كان لهذا الشعب ما أراد، فتحولت التضحيات إلى غنائم والكفاح إلى نصر، والأنشودة إلى عرس كبير.

التقينا بصاحب "جزائرنا" في مدينة الشريعة. وللشريعة تاريخ نضالي غزير تشهد عليه آثار الشهداء التي توجد بالمنطقة. ومازال سكان الشريعة يذكرون جيدا كل شبر من الأرض الطاهرة التي جرت عليها دماء الأحرار. فهذا معتقل كان لتعذيبهم، وذاك حمام كان لذبحهم وهذا بئر ألقيت فيه جثث من هم عند ربهم خالدون وفي قلوب الأحياء باقون.

وكما وقفنا في مدينة الشريعة على قبور من قضوا نحبهم. قابلنا أيضا من لا يزالون أحياء تحمل أجسام بعضهم آثار همجية الاستعمار ووحشيته. والشاعر محمد الشبوكي واحد ممن جلسنا معهم مطولا، لم يحدثنا في بداية اللقاء لا عن نفسه ولا عن شعره، بل راح يسترسل في الحديث عن المنطقة وتاريخها وماضيها وحاضرها وتطلعاتها. فالشاعر سجلٌ لتاريخ المنطقة وقد بلغ من العمر 67 سنة، وهي سنوات يختفي ثلثها تقريبا تحت غطاء من الحيوية والنشاط والفتوّة، تتحدى عمل السنين.

ومعه في بيته في جلسة شاي، قدم لنا الشاعر نفسه: محمد الشبوكي من مواليد 1916 ببلدية الشريعة. حفظ القرآن في سن مبكرة، انتقل بعدها إلى تونس

الشقيقة، فتلقى بها مبادئ اللغة والفقه الإسلامي والأدب العربي.

وفي سنة 1934 تحوّل الشاعر إلى جامع الزيتونة بتونس، حيث حصل من هناك على شهادة كان يمنحها الجامع تسمى "شهادة التحصيل" سنة 1942. وعام التحصيل كان أيضا عام العودة إلى أرض الوطن، التي عمل بها الشاعر في سلك التعليم بالمدارس الحرة.

يذكر الأستاذ الشبوكي أنه في 1956 ألقي عليه القبض من لدن الاستعمار، حيث كان مديرا لإحدى مدارس الشريعة. وبعد تسريحه من المعتقل عاد الأستاذ الشبوكي إلى مدينة تبسة يمارس مهنة التعليم في هذه المدينة.

وما لمسناه أن الشاعر الشبوكي هو محل تقدير واحترام كل سكان المنطقة سواء في الشريعة أو في تبسة، وقد وضعوا فيه ثقتهم عدة مرات، وهو الآن يشغل منصب رئيس المجلس الشعبي لولاية تبسة. وبعفوية تامة ودون ترتيب لسين وجيم، بدأ حديثنا مع الشاعر، فسألناه عن أهم رجالات الفكر والسياسة الذين التقى بهم أو عايشهم.

فجاء رده على السؤال: أن العربي التبسي يعتبر عندي مصلحا كبيرا، وهو رجل غزير العلم ووطني أصيل، ورائد من الرواد الأوائل لجمعية العلماء. كنت أحضر دروسه الليلية والمجالس العامة التي كان يعقدها من حين لآخر. وذكر لنا الشاعر أنه التقى مع الشيخ عبد الحميد بن باديس في تونس سنة 1937 وهي المرة الأولى والأخيرة التي التقى فيها شاعرنا بالعلامة ابن باديس.

والشبوكي معجب بمحمد العيد آل خليفة، وقد نظم فيه قصيدة شعرية. كما قرأ للشاعر محمد الأخضر السائحي وخمار والبحتري. والشاعر الشبوكي يعتبر المتنبي زعيم الشعر فيقول: إذا كان للشعر زعامة، فإن المتنبي هو زعيم الشعر، وهو شاعر قضية عربية، رغم أن البعض يعتبره شاعرا قديما.

وسألنا صاحب القصيد الثوري ما قصة "جزائرنا" فأجاب: "النشيد نظمته في شهر جانفي 1956 وذلك تلبية لطلب ورد علي من قيادة جبهة التحرير الوطني في الجبل الأبيض، حيث وصلتني رسالة حملها إلي أحد جنود الثورة، ووجدت نفسي ملبيا للطلب خلال ليلة

واحدة، انسابت فيها شاعريتي بكل سهولة نتيجة شعوري وإحساسي العميق بأن الجزائر ستستقل حتما إن آجلا أم عاجلا.

وبعد إرسال النشيد بنحو شهر، ألقي علي القبض ليلة 10 فيفري 1956، بتهمة التحريض والدعوة إلى الثورة. وقد اقتادني جنود استعماريون إلى تبسة، حيث قضيت بها 05 ليال في زنزانة باردة، وبعدها توجهوا بي إلى قسنطينة ومنها أخذوني إلى معتقل الجرف بضواحي المسيلة".

*** ماهي أهم حادثة تتذكرها في معتقلك؟**

الشيخ الشبوكي: "عندما دخلت معتقل عين وسارة، استقبلني إخواننا المعتقلون وأنشدوا بالمناسبة بعض الأناشيد ومن ضمنها نشيد "جزائرنا". وقد وجدت في زنزانتي شيخا بيده كراسة احتوت على مجموعة من الأناشيد، فطلبت منه الكراسة وقمت بتصحيح النشيد الذي كان محرّفا، دون أن أبوح لصاحب الكراسة بالسر".

• هل تتذكر أول مرة سمعت فيها قصيدتك تنشد؟

الشيخ الشبوكي: "أذكر أن ذلك كان بعد الاستقلال مباشرة عندما قمنا بإنزال العلم الفرنسي ورفع العلم الوطني في مدينة الشريعة، ساعتها كانت فرحتي عارمة وقوية وأنا أستمع إلى أفراد من جيش التحرير ومواطنين ينشدون من قصيدتي".

*** أنت عرفت بنشيد "جزائرنا" ودون شك لك غيره؟**

الشيخ الشبوكي: "طبعا لي محاولات شعرية عندما كنت في تونس. وقد كانت لي قصائد في مكتبتي أخذها مني المستعمرون وأتلفوها، وهو ما حدث عندما كان الجنود الفرنسيون يدخلون بيتي ويفتشونه. وما تبقى لي من قصائد في الوقت الحاضر هي التي نظمتها خلال الثورة وما بعدها".

*** ماهي أهم الأغراض التي طافت بها شاعريتك؟**

الشيخ الشبوكي: "كل شعري قلته في الوطنيات والتغني بمعارك جيش التحرير وخاصة معركتي الجرف وآرقو، وهما معركتان مشهورتان تكبدت خلالهما القوات الاستعمارية خسائر كبيرة".

*** ماذا في نفسك من الذكريات الجميلة؟**

الشيخ الشبوكي: "في القطار الذي ركبته من قسنطينة إلى برج بوعريريج في طريقي إلى المعتقل، صادفت أربعة شبان مكبلي الأيدي، وقد عرفت منهم أنهم ذاهبون إلى المحاكمة في العاصمة، وقد طلب مني هؤلاء الشباب الأربعة أن أخبرهم عن أحوال الثورة وأوضاع البلاد، فطمأنتهم بأن الثورة بخير وهي في طريقها إلى النصر. وكم كانت فرحتهم كبيرة لهذا الخبر السار، وقد عبروا لي عن ابتهاجهم عندما أخبروني بأنهم اعتقلوا منذ 20 أوت 1956 وهم في طريقهم إلى العاصمة حيث تتم محاكمتهم. وقالوا لي بحماس الشباب وعنفوان الثورة إنه لن تهمهم عاقبة المحاكمة مهما قست، مادامت الثورة والثوار بخير. وهنا أيقنت وتأكد عندي أن ثورة شعبية تعيش في قلوب أبنائها لا يمكن إلا أن يكون النصر حليفها".

*** هل لك أن تحدثنا عن بعض المعاملات القمعية داخل سجون الاستعمار؟**

الشيخ الشبوكي: "تعرضنا في المعتقلات إلى أنواع كثيرة من الممارسات اللاإنسانية. ومن الأمثلة على ذلك كان الجنود الفرنسيون يقتحمون علينا الزنزانات ونحن

نائمون وبأيديهم عصي فيشرعون في ضربنا أو تفتيشنا بكل وحشية".

*** وكيف كان المناخ السياسي السائد داخل المعتقلات؟**

الشيخ الشبوكي: "كانت نية الاستعمار من وراء الاعتقالات إرغام الشعب على عدم التعامل مع الثورة، وإبعاده عنها بقدر الإمكان، وإعطاء فكرة أن المجاهدين ليسوا إلا جماعة متمردة لا تستغرق عملية القضاء عليهم إلا أياما معدودة. غير أن سفينة الحرية كانت تجري عكس رياح هذه النية الاستعمارية، فلم تزد المعتقلات وأنواع القمع والتعذيب للمعتقلين إلا تصميما على التلاحم والالتفاف حول الثورة.

فنجد مثلا أن معتقلات العدو تحولت إلى أماكن للتعاون وتبادل الآراء والأفكار والمناقشات حول قضايا ثورية. ولا ننسى أن من هذا الجو تخرّج رجال لهم كفاءات عالية نتيجة التعليم الذي تلقاه بعض المعتقلين. وهذا بفضل وجود أفراد لهم مستوى تعليمي لا بأس به ومنهم من كان ينتمي لجمعية العلماء المسلمين".

*** وكيف كانت تصلكم أخبار الثورة؟**

"لما كنا في المعتقل كانت الأخبار التي تصلنا عن الثورة قليلة. وهي أخبار يحملها إلينا من يأتي لزيارة أحد أقربائه أو أصدقائه. كما كانت بعض الجرائد تتسرب إلينا خفية. وقد التقينا مع بعض الفرنسيين المناصرين للثورة الجزائرية".

*** وبمنظاركم وكشاعر كيف ترون الحركة الأدبية في البلاد؟**

"نقر بأن هناك حركة، غير أني أراها تعنى غالبيتها بالتعبير عن أجواء غائمة وغير مفهومة أحيانا، وليس لها في نظري أي مردود بل أحيانا تكون غوغائية وكلامولوجيا فيها ما فيها من مضيعة للوقت وتفتيت للكلمات. ونجد ذلك فيما يسمى بالشعر الحر عند البعض.

وكم تمنيت أن أقرأ قصائد شعرية في جميع مناحي الحياة اليومية والطبيعة وفي كل شيء جميل. فطبيعة بلادنا الخلابة منسية من طرف الشعراء. فكل جمال لا يتغنى به ولا تقال فيه قصيدة شعرية هو "جمال منقول" إن صح التعبير".

وفي ختام جلستنا مع الشاعر، ألححنا عليه بالطلب أن يعطينا بعضا من أشعاره، فزوّدنا بقصيدة قالها في ذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولم يزدنا أكثر من ذلك. وعندما طلبنا منه المزيد طلب منا القناعة ووعدنا في المستقبل بنشر كل أشعاره، حتى يتسنى للجميع قراءتها، فلم نزد إلحاحا على شاعرنا الذي شنّف آذاننا ببعض قصائده قبل أن نفترق، ولسان حالنا يقول: "للأسف حتى للحظات السعيدة نهاية".



مقابلة لجريدة

الإرشاد

عدد 17 من 12 إلى 18 سبتمبر 1995

حاوره: أبو جـــرة سلطـــاني

صاحـب (جزائرنا) يتحـدث لـ: الإرشاد

أول نشيد حفظته في حياتي كان (جزائرنا يا بلاد الجدود)، ومازلت أطرب لكلمات هذه القصيدة الرائعة لقوة جرسها، وصدق عاطفتها، ووضوح كلماتها.. وإصرار صاحبها على النصر. وقد كتب الله لي أن أتعرّف على الشاعر، وأن أكتشف أن وطنيته لا يساوم عليها، وأنه يقول في إصرار واضح يجب على كل جزائري أن يحتفظ برصيد من البغض لفرنسا.. ولما صدر ديوانه الأول أهداني نسخة منه، فقررت أن أقدم لقراء (الإرشاد) عرضا للديوان مسبوقا بحوار مقتضب مع الشاعر. فكان ما أراد الله.

الشاعر هو محمد بن عبد الله الشبوكي، من مواليد 1916 بالشريعة ولاية تبسة. تعلّم على الطريقة التقليدية، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون وكثيرا من أشعار العرب.

يقول إن الشعر العربي لم يتحكم في ناصيته إلا ثلاثة شعراء هم ذؤابة الفصيح المنظوم، وهم وحدهم القمم السامقة في تاريخ الشعر العربي كله إنهم:

- أبو الطيب المتنبي في القديم (العباسي).
- أحمد شوقي في الحديث (المصري).
- مفدي زكريا في المعاصر (الجزائري).

انتقل الشاعر إلى تونس سنة 1934، ليصبح من تلامذة الزيتونة التي تخرج منها عام 1942، وينضمّ إلى قافلة الدعاة تحت ظلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وتحت إشرافها وبتوجيهها يعود إلى الجزائر معلما وناشرا للدعوة في المدارس الحرة التابعة للجمعية وتجوّل في هذه الربوع بين تبسة وباتنة...

كان الشاعر عضوا نشيطا في نضالات الحركة الوطنية (عضوا عاملا في جمعية العلماء، ثم عضو المجلس الإداري...).

لما اندلعت ثورة التحرير الكبرى في الفاتح من نوفمبر 1954، وجهت أصابع الاتهام الكولونيالي إلى كل أنصار جمعية العلماء وإلى الشعب الجزائري كله. ولما اعتقل فضيلة الشيخ العربي التبسي كانت الدائرة

الاستعمارية تحكم حلقاتها على كل من شارك في تعليم اللغة العربية أو نشر في الشعب الجزائري مبادئ الإسلام.

وفي ليلة باردة من شهر فبراير 1956، ألقت السلطات الفرنسية القبض على الشاعر واقتيد إلى المعتقلات الوحشية التي بقي فيها إلى أن أطلق سراحه يوم 13 مارس 1962.

في فترة الاستقلال، أصبح عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى ورئيسا للمجلس الشعبي "بلدية الشريعة" . تبسة، ثم عضوا بالمجلس الولائي (تبسة) ثم رئيسا له، وأخيرا نائبا بالمجلس الشعبي الوطني (في فترته الثالثة).

والشاعر محمد الشبوكي هو صاحب النشيد الوطني الثائر:

جزائرنا يا بلاد الجدودْ نهضنا نحطّم عنك القيودْ
ففيك برَغم العدا سنسودْ ونعصف بالظلم والظالمينْ

ديوانه الأول الذي أقدمه لقراء (الإرشاد) صدر منذ شهر عن منشورات المتحف الوطني للمجاهد في حجم متوسط يتوزع على 215 صفحة، ويضم بعد الإهداء

وكلمة الشكر، والمقدمة، والتقديم، 118 لوحة شعرية تتراوح بين قصيدة ومقطوعة. والدفقة الشعورية قسمها الشاعر في الديوان إلى 09 أقسام هي: الوطنيات والدينيات والأناشيد، والاجتماعيات، والذكريات والمناسبات، والذاتيات والمنوعات، والإخوانيات.

ولنا في كل هذا كلام سوف نعود إليه بعد أن نفسح المجال للشاعر يحدثنا عن تجربته. ونؤكد قبل ذلك أن الشاعر منذ أن نُكبت الجزائر بعد أحداث أكتوبر 88، وهو صائم عن الكلام. زرناه في بيته المتواضع بمدرسة الحياة. رحّب بنا بشوق المحبين وأفاض علينا بكرم حاتمي. ولما حدثناه عن الجزائر وما يجري بها من انكسارات ضاقت نفسه حتى أحسسنا أننا أفسدنا جو الضيافة بعزفنا على وتر حساس في نفسه هو جراحات الجزائر التي يعشقها على طريقة محمود درويش.

طلبنا منه أن يتكرم بمقابلة أخرى لنجري معه حوارا لجريدة (الإرشاد)، فاشترط ألا يطول الحديث وألا يتشعب. فكان اللقاء وكان هذا الحوار المباشر مع رجل قدم للجزائر الكثير، وهو الآن يتقدم نحو سن زهير بن

أبي سلمى الذي سئم الثمانين حولا. فهل ينتظر الشباب الجزائري من صاحب "جزائرنا" أن يكتب شيئا عن تاريخ الجزائر أم إنه بعد الثمانين نسي ما في اليوم والأمس قبله؟ إليكم الحوار:

• هل تتكرمون بذكر المحطات الكبرى في حياتكم الجهادية والأدبية؟

الشبوكي: لا شك أننا نتفق على أن معنى كلمة (الجهاد) الواردة في سؤالكم ينصرف إلى هاتيكم التضحيات، التي قدمها الشعب الجزائري الثائر لأجل إحراز النصر في ثورة نوفمبر المباركة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن ما ساهمتُ به أثناء سنوات الثورة الستّ التي عشتها في المعتقلات ابتداء من 10 فيفري 1956 إلى 13 مارس 1962، لا يستطيع أن يقترب من مستويات المحطات الكبرى على حد تعبيركم. نعم هنالكم ومضات متواضعة أسميها ذكريات لا محطات مازلت أذكرها وأعتز بها، لأني أدركت فيها الكثير من معاني الجهاد، وشاهدت أثناءها عن كثب صمود الجزائريين المجاهدين حتى داخل القضبان والأسلاك الشائكة، وأمام الحِراب التي يصوبها عدو غاشم.

وإجابة على سؤالكم أذكر من تلكم الومضات ما يلي:

أولا: القيام المستمر بمهمة التعليم لكل الإخوة المعتقلين الذين هم في حاجة إلى ذلك. وكنا نؤدي هذا العمل بطريقة محكمة، أتت أكلها ونتائجها الطيبة بحيث عندما أطلق سراحي، وجدت الكثير ممن كانوا معنا في المعتقلات قد واصلوا تعلمهم حتى أصبحوا بعد ذلك إطارات مثقفة بعد أن كانوا أميين وأشباههم.

ثانيا: عقد الندوات الأدبية داخل الغرف القصديرية التي نسكنها، رغم الموانع التي تفرضها حراسة المعتقل. ففي (بوسوي) مثلا حشرت نخبة معتبرة من الأدباء والشعراء والمعلمين، فاستطعنا بذلك أن نكوّن حركة ثقافية توجيهية قوية. فكانت مرحلة من أثمن مراحل حياتنا في المعتقلات.

وقد كنا بالإضافة إلى التعليم نتبارى في مجال المحاضرات والدروس التوجيهية، ونتطارح القصائد والطرائف الأدبية. وقد أتيح لي في هذه الفترة أن نظمت عدة قصائد سلم القليل منها من بين أيدي (السيراس) الممزقة عدوة العربية.

ثالثا: ورغم الحراسة المشددة التي لا تغفل ولا تنام ورغم التعسفات المرة التي كنا نلاقيها من قبل العسكر الفرنسي، الذي يحرس المعتقل، كنا نغتنم الفرصة عندما تتاح لإخراج بعض الشبان القادرين على حمل السلاح واستعماله ليلتحقوا بجيش التحرير الوطني. وقد حققنا بعض النجاح، وتكبدنا بسبب ذلك ما يطول الحديث عنه من التعذيب والتنكيل. كان للأدب رسالة حضارية لكننا نعتقد أنها انتهت بتهميش الفكر، فهل تعتقدون خلاف ذلك؟

وفعلا قد أصيب الفكر بكارثة التهميش نتيجة أوضاع جافة منحرفة تسودها الأنانية التافهة، وتطغى عليها نزعة الاستهانة بالقيم وعدم تقدير اللغة العربية. ولكن رسالة الأدب لم تنته ولن تنتهي رغم كل المعوقات التي تعترضها، لأنها رسالة روحية. والروح كالشمس قد تحجبها السحب بعض الوقت ولكن أشعتها باقية. ولأن رسالة الأدب فكرية والفكر قد يصاب بالنكران والجحود فيصير حبيسا أحيانا، ولكن لا تستطيع أية قوة في العالم أن تنهي عملية الفكر الهادف، ولعل مراحل الحضارات تقول هذا الرأي.

• يشاع أن "جزائرنا" لم تكن من نظمكم بل من توجيه (مفدي زكريا) في سجن البرواقية.. نرجو التصحيح.

الشبوكي: هذه مرة رابعة أُسأل فيها عن نشيد "جزائرنا" هل هو من نظمي أو من نظم الشاعر الكبير مفدي زكريا رحمه الله، وأسارع فأجيبكم بما يلي:

أولا: إنني لم ألتق في حياتي بالشاعر مفدي زكريا إلا مرة واحدة عندما رجع إلى الوطن بعد الاستقلال.

ثانيا: إنني لم أدخل سجن البرواقية ولم أعرفه.

ثالثا: النشيد المذكور كتبته في النصف الثاني من شهر جانفي سنة 1956، وبعثت به إلى مركز جيش التحرير الوطني بالجبل الأبيض بواسطة الأخ المجاهد محمد بعلوج، الذي مازال حيا يرزق ويسكن بمدينة الشريعة ولاية تبسة.

قدموا كلمة للشباب من قراء جريدة الإرشاد.

الشبوكي: أهلا بشباب الإرشاد قارئ الإرشاد، وتمنياتي الطيبة لأبنائنا الأعزاء عمدة الحاضر والمستقبل وأقول لهم:. أيها الأعزاء، أنتم تعلمون . لا شك . أن شعبكم في حاجة ماسة إليكم اليوم وبعد اليوم. وتعلمون أيضا أنكم لا تستطيعون أن تؤدوا ما عليكم لشعبكم من

واجبات أكيدة إلا بأخذكم النصيب الأوفر من الثقافة.

فاغتنموا فرصة الشباب وأنفقوها في التزوّد بالأفكار النيّرة والمعارف القيمة، فالحياة الكريمة لا تنال بأضواء العلم والمعرفة.

إن التاريخ علّمنا بأن طريق الكرامة والمجد للأمم يمر حتما بمعالم الثقافة النقية، ومحطات العلم الصحيح النافع فامضوا على بركة الله.

نشكر فضيلة الشيخ الشبوكي على تكرمه باللقاء والحوار وعلى الديوان الذي أهدانا إياه.

وسوف نعود قريبا بإذن الله تعالى إلى تقديم الديوان لقراء الإرشاد.



مقال منشور بجريدة

النصر

الأحد 23 جوان 1996

د. عبد العزيز نصيب

قــراءة في ديــوان الشيــخ الشبوكي

صـدر للشـاعر الشـيخ محمـد الشـبوكي، صـاحب الرائعة المشهورة (جزائرنا)، ديوانـه الشعري الأول. وهو المجموعة الكاملة له والصادرة عن منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

الشيخ محمد الشبوكي، هو محمد بن عبد الله الشبايكي المدعو الشبوكي، ولد سنة 1916، بمنطقة ثليجان بلديـة الشريعة ولاية تبسة. حفظ القرآن الكريم. وفي أواخر الثلاثينات انتقل إلى واحة نفطة بالجنوب التونسي، أين تتلمذ على أيدي أشهر علمائها، وتحوّل سنة 1934 إلى جامعة الزيتونـة ثم رجع إلـى الجزائـر وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وفي شـهر فيفـري 1956 ألقـت عليـه السـلطة الفرنسـية

القبض بسبب نشاطه الثوري، حيث بقي في السجن ست سنوات ليطلق سراحه يوم 13 مارس 1962م.

افتتاحية الديوان كانت للأستاذ الفاضل محمد الطاهر فضلاء، ومما جاء في كلامه عن الشاعر: "هو ذلك الصوت الذي أضناه الشوق، وبرّحه الجوى وخنقته العبرة من الأسى، فغدا يحاكي في زفراته أنين العود المتقطع الرنين، المكدود الصوت، المبحوح الأنفاس والنغم، يريد أن يضع بلغته الحالمة أنفاس الخلود من تساؤلات شاعر الهند العظيم في أحلامه الغافية وحُداءاته الضافية...".

وقد قسّم الشاعر ديوانه إلى أبواب هي: وطنيات دينيات، أناشيد، اجتماعيات، ذكريات، مناسبات ذاتيات، منوعات وإخوانيات. ورغم أن التبويب ليست له قاعدة نقدية يرتكز عليها، سواء بمنطق النقد القديم أو الحديث، إلا أن الشاعر قصد التوضيح والتسهيل على القارئ.

والشاعر في تقديمه ديوانه كأنه يطرح نظرية نقدية ورؤية ذاتية يرتكز على أساسها في نظمه للشعر. إذ يقول: "فالشعر في نظري هو ما كان معناه يسبق لفظه

في الوضوح والإشراق فيطرب السمع وتهتز له النفس"... ويعترف في موضع آخر فيقول: ".. أعترف بأنني قليل الرضا عن محصول هذه القصائد.. وقصائد الديوان كتبت في فترات متباعدة أثناء الثورة وبعدها، أما ما كتب قبل الثورة فقد ضاع كله، فبعد إطلاق سراحي لم أجد مكتبتي التي أملكها، فقد عبث بها الجيش الفرنسي".

وإذا تمعنا في أبواب الديوان وقصائده نجد سمة الوضوح والمباشرة في التعبير غالبة على أشعاره.. وهو ما يترجمه الشاعر في المقدمة "لقد سلكت في هذه المجموعة الشعرية التي أقدمها بين يديك طريقة الوضوح في الشكل والمحتوى، وتلك الطريقة التي أرتضيها في نظم الشعر".

فانظر مثلا قوله في قصيدته "لبيك يا ثورة الجزائر":

فما السياسة أجدت في مطالبها	ولا الشكاوى أفادت عبر ماضينا
إن السياسة أوهام مضللةٌ	يا طالما عرقلتنا عن مرامينا

فهو أسلوب مباشر معناه مفهوم وواضح من لفظه.

السمة الثانية التي يتميز بها أسلوب الشاعر هي تلك

النظرة الرومانسية خاصة في أشعاره الوجدانية التي يعبر فيها عن الحياة والعواطف، فهاهو يصف تونس بشوق في قصيدته "تحيتي إلى واحة توزر":

أحببتك يا توزر المكرمات	ويا مطلع الأنجم الزاهراتْ
لقد هز بالشعر أنفس شعبٍ	أراد الحياة فنال الحياةْ

وربما تصل بالشاعر الروح الرومانسية ذروتها في قصائده الذاتية كقوله:

من كان يطرب للحزين فإنني	أمسيت منها في جوًى وفتونِ
يا ليلةً ما كنت أحسب أنني	ألقى بها حَفلا يثير شجوني

سمة أخرى نلاحظها في الديوان أولا هي تلك الروح الوطنية الوهاجة الممزوجة بالحماسة والتحدي والدعوة إلى الثورة واستنهاض الهمم. وخير دليل على ذلك قصيدته المشهورة "جزائرنا" التي يقول فيها:

نعاهدكم يا ضحايا الكفاح	بأنا على العهد حتى الفلاح
ثقوا يا رفاقي بأن النجاح	سنقطف أثماره باسمين

وقوله في موضع آخر:

حيّ الجبال وحيّ منها المدفعا   واحمد إلهك شاكرا متخشعا
واهتف بأبطال المجاد منوّها   بالشعب قد أبلى البلاء الأروعا
سبعٌ ونصفٌ خاضهن مصمّما   كيما ينال الغاصبين المصرعا

وإذا كان الشاعر الحقيقي هو ذلك الإنسان الذي ينطلق من حب كبير، فإن شاعرنا قد عبّر عما كان يجيش في خاطره ونفسه من عواطف الشباب وأحاسيسه المختلفة، فهاهو نجده يخاطب قائلا:

اشرقت لماعة في افق احلامي   يا نجمة نورت آفاق أيامي

والملاحظ أن رمز (النجمة) يتكرر في قصائد الشاعر الذاتية بشكل ملفت للانتباه فهو يقول في قصيدته "نجمة القافلة":

تراءيتِ في الأفق لي حافلة   بنورك يا نجمة القافلة

ويقول في قصيدة أخرى "النجمة الغائبة":

غبت يا نجمتي فغابتْ عن الفجر   بشاشاته وغاض جمالُهْ
وعرَا موكب الخلوبِ التياعٌ   نمّ عنه انزعاجه وانذهالهْ
هل تعودين نجمتي لأليفي   ليس تنسيه إلفه اغلالَهْ؟

وأخيرا يمكن القول إن شاعرنا الشيخ محمد الشبوكي واحد من الشعراء الجزائريين الذين خلّدوا الثورة المباركة في أشعارهم، وكانوا بالفعل مجاهدي الكلمة

ومن أجلها عذّبوا، وأدخلوا غياهب السجون وبقوا أوفياء لها. ونقول له في الختام ما قاله أستاذنا محمد الطاهر فضلاء.

فسِر يا شاعر البدو والحضر في دربك الأقوم وعلى خلُقك الأسلم، فلن يضيرك غلوّ الغالين، ولا قِلى القالين...

وإذا الأخلاقُ كانــت سُلّمـاً	نالـتِ الشـمَّ يدُ الملتمـسِ
فارْقَ فيها تلق أسباب السّما	وعلى ناصية الشمس اجلِسِ



مقال منشور بجريدة

النصر

الأربعاء 12 نوفمبر 1997

لـ ع.ع

ديوان شيخ الشعراء محمد الشبوكي

أناشيد للوطن.. أناشيد للحياة

جزائرنا يا بـلاد الجـدوذ نهضنا نحطّم عنك القيـوذ
ففيك برغم العدا سنسود ونعصف بالظلم والظالمينْ

كثيرنا ردد هذا النشيد وهو صغير أيام الثورة التحريرية.. وكثيرون هم الذين يرددونه اليوم من الأبناء في المدارس، ولكن القليلون فقط يعرفون من هو الشاعر الذي كتب هذا النشيد الوطني. وربما لو سألنا الكثير ممن رددوا كلمات النشيد لقلبوا الشفاه وما عرفوا الجواب، لأن كاتب النشيد لم يكن يهمه أن يُعرف اسمه بقدر ما كان يهمه أن تعرف قضية وطنه، وأن تردد الشفاه اسم وطنه.

صاحب النشيد هو الشاعر والمجاهد الوطني محمد الشبوكي الذي له من غير هذا النشيد الكثير.

لكن لأن محمد الشبوكي لم يكن ولوعا بالأضواء مثل غيره، فقد بقي في الظل ولا يعرف إلا القليلون نضاله وشاعريته. إنه نموذج ومثال المناضل والمجاهد الحقيقي الذي يضع مصلحة الوطن قبل مصلحته الخاصة. كتب الشاعر المجاهد محمد الشبوكي الكثير من القصائد الشعرية العربية الأصيلة ومنذ سنوات غابرة، إذ بدأ الكتابة حتى قبل أن أولد ويولد غيري من أبناء جيلي والأجيال اللاحقة. ورغم ذلك لم تأخذه العزة بالغرور كما أخذت غيره من الشعراء. ولا تكبّر كما فعل غيره، بل ظل على بساطته وعفويته كما ظل على شاعريته وإخلاصه لوطنه، والنضال والعمل من أجل تقدمه.

شخصيا لم يسبق لي أن التقيت بالشاعر قبل سنة 1983، إذ التقيته سنتها في مهرجان محمد العيد آل خليفة الشعري الثاني بمدينة بسكرة. وقد فاجأني حينما عرف اسمي بالحديث، وذكر بعض المقالات كنت قد كتبتها، فلامني على البعض وشكرني على البعض منها. هذا الشاعر الذي كنت وأنا صغير أردد مع خلاّني كلمات نشيده الوطني الجميل "جزائرنا" ولم أكن

أعرفه إلا بالاسم، ألتقيه فأجلس إليه ويتحدث إلى حديث الأب لابنه. هذا الشاعر المجاهد الوطني الذي عانى الكثير من ويلات الاستعمار الفرنسي، وأدخل المعتقلات والسجون لكثير من المرات، وتولى تربية أجيال الجزائر وتعليمها لغتها وآدابها أيام الاستعمار كمعلم ومرب في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وواصل رسالته في التعليم بعد استقلال بلاده، وتولى مناصب وتحمّل مسؤوليات، لم يكن ليهتم بجمع ما كتبه من قصائد ونشره بين دفتي كتاب مثلما كان يهمه أن يرى وطنه في أرقى المراتب، وفي طليعة الدول في المحافل الدولية.

الشاعر المجاهد محمد الشبوكي اقتنع أو أُقنع أخيرا بضرورة جمع ما لم يضع من شعره في كتاب، حتى يبقى وثيقة ترجع إليها الأجيال. فكان أن صدر ديوانه مؤخرا من منشورات المتحف الوطني للمجاهد بعنوان "ديوان الشيخ الشبوكي".

قدم للديوان الشيخ محمد الطاهر فضلاء، بكلمة تحدث فيها عن الشاعر وأثنى عليه متسائلا "ما المطلوب مني أن أقدم ما في هذا الديوان: الشعر الذي

في الديوان؟ أم شاعر الديوان؟ وكلا الأمرين صعب المرتقى، عسير الوصول فيه إلى غاية المرتجى".

وقد أصاب فضلاء فيما رأى من صعوبة في تقديم لديوان الشيخ الشبوكي، وكان محقا في تساؤله من يقدم: "الشعر الذي في الديوان أم شاعر الديوان؟".

وربما أفضل ما يمكن أن يقدم به الشيخ الشبوكي للقارئ هو هذه الأبيات التي وضعها بنفسه مفتتحا لديوانه، وفيها يتحدث عن نفسه أو مقدما فيها نفسه للقارئ:

هذه صورتي وهذا شعاري ... عبّرا عن حقيقتي وضميري
في محيّايَ يبدو اللونُ حسّا ... وضّاءة مسرّتي وحبوري
أنا أهوى الحياة تصفو مجاريها ... وتشدو بكل لحنٍ نضيرِ
وبقلبي الحقوق ينبوعُ شعرٍ ... في قوافيه غبطتي وسروري

هو إذا هكذا يحبّ الحياة صافية مجاريها وهذا شعوره قد ضمّنه شعره. إنه إحساسه بجمال وطنه وعشقه الكبير. إنه الذي كان شذوه للوطن فكان حبه له دافعه للنضال فغنّى بصدق:

وطني يا أملي الأسمى ويا ... فرحتي الكبرى ويا أرض الجدودِ
فيك أشتم عبير المجد دومًا ... وأنا في نخوة العزّ الجديدِ

في رباك الشمّ تزهو ذكرياتي فأناجيها ويحلو لي نشيدي

يا نعيما لست أهوى غيره أنا في حضنك ذو عمر سعيد

كم أباهي بمزاياك التي فاقت التعداد من عهدٍ بعيد

حفظ التاريخ في أطوائه لك ما يُبهجُ من ذكرٍ فريد

دُمْ لأبنائك تعتزّ الدُنا بمزاياك أيا أرض الجدود

وبعدُ، ماذا يمكنني أن أقول بعد هذا الذي قاله الشاعر الشيخ الشبوكي. حقا لا يجد المرء ما يقوله، وما عساني غير أن أقول مثلما قال الشيخ محمد الطاهر فضلاء: "ماذا أقول؟ هل أتحدث عن شعر الديوان أم أتحدث عن شاعر الديوان؟ لن أزيد عن قوله هو: وطني يا أملي الأسمى. ويا شاعرا غنى فأطرب لك الله والوطن".



كلمة افتتاحية للملتقى منشورة بجريدة

النصر

الأربعاء 27 أكتوبر 1999
ل. وكالة الأنباء الجزائرية

كلمة السيد علي بن فليس ـ الأمين العام لرئاسة الجمهورية ورئيس الحكومة سابقا
في افتتاح ملتقى أدب الشهادة والشهيد
الذي أقامته رابطة ـ إبداع ـ

تنويــه بالشيــخ الشبوكــي..
الفــارس الذي ركـب صهـوة القوافـي

ألقى السيد علي بن فليس، الأمين العام لرئاسة الجمهوريـة وممثـل رئـيس الجمهوريـة أمـس الثلاثـاء كلمـة فـي الحفـل الـذي أقامتـه رابطـة "إبـداع" تكريمـا للمجاهد الشيخ محمد الشبوكي هذا نصها:

حضـرات السـيدات والسـادة، أعضـاء رابطـة إبـداع الثقافية الوطنية.

حضرات السيدات والسادة الحضور الأفاضل:

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن يشرّفني فخامة عبد العزيز بوتفليقة، رئيس الجمهورية بالنيابة عنه، في حضـور هـذا الحفـل الاحتفـائي الكـريم الـذي أقامتـه مشكورة، رابطة إبداع، للتعبير عن كبار الجزائر قيادة وشعبا، لأحد أبطالها الأفذاذ الشاعر المجاهد الشيخ محمد الشبوكي أطال الله عمره.

فباسـم فخامـة رئـيس الجمهوريـة، أتوجـه وبكـل فخـر واعتزاز أول ما أتوجه إلى ابن الجزائر البار، شيخنا ومفخرتنا المجاهد الشاعر الوطني محمد الشبوكي وأنقل له من أخيه المجاهد عبد العزيز بوتفليقة تحية التجلة والتبجيل.

وإذ أشكركم حضرات السيدات والسادة المبادرين بإقامـة ملتقـى "أدب الشـهادة والشـهيد" علـى حسـن مـا صنعتم، وأثني على حرصكم على إضفاء المزيد من الجلال والفائدة علـى فعالياتكم بتكريم شـاعرنا، فـإنني لأُكبر التفاتتكم الخيّرة الصائبة هذه، وأثمّن غاية التثمين وجاهة الرسالة التي رسمتموها لرابطتكم الموقرة، وأحيي فيكم انتهاجكم عن قناعة ووعي أجمل المناهج والسنن في تبجيل من رحل ومن بقي من رجالات هذا الوطن.

وأقدر فيكم توفيقكم في اعتنائكم بالرموز اللامعة وإحياء ذكرى مآثرها، وإبراز مناقبها.. وبذلك تحملون ولا شك الأجيال على الاعتبار والتأسي.

أيتها السيدات أيها السادة:

إنكم والله لمحقون في تكريمكم اليوم وكل يوم وإلى الأبد هذا الفارس المغوار الذي ركب صهوة القوافي وذاد عن حياض الوطن، بالكلمات سهاما وبالمعاني رماحا وأبلى البلاء الحسن.

إن الشيخ محمد الشبوكي، هذا العاشق الذي تيّمه حب الجزائر، دخل منذ عهد عهيد في عداد رموز عزتنا وشموخنا، دخل عداد رموزنا، عالما علَما وشاعرا وطنيا مفلقا فحلا، ومجاهدا من طينة الأباة الأشاوس الذين ما بدّلوا تبديلا.

إن رجلا كهذا أخذ بأسباب المعرفة، ونهل من معين علماء أجلاء من الجريد إلى تبسة إلى الزيتونة. فأصبح أحد صناع الكلمة المناضلة الرصينة والإبداع الموهوب، المسخر لخدمة قضايا الشعب والوطن. قضى أزيد من ثلاثة أرباع عمره مجاهدا بالكلمة الحقة ليستقر بعد هذه التجربة الطويلة في وجدان الشعب

كلمة صادقة خالدة وقصيدة لن تموت، ونموذجا نضاليا يهتدى به طلاب العلم ورواد المعرفة وأهل النخوة والمبادئ في كل زمان. إن رجلا كهذا حري بنا أن ننزله المنزلة التي بوأته إياها الرفعة ورصيده الأدبي العظيم.

أيتها السيدات أيها السادة:

إننا اليوم نقف أمام رجل أصيل وشاعر جليل مازال وإن جاوز الثمانين يتغنى بأمجاد هذا الوطن، ويلهب مشاعر الوطنيين الشرفاء بروائعه النقية الرائعة متجشما، رغم السن، أتعاب السفر بين واحات بلادنا وشعابنا ومدننا وأريافنا ورفيقه صدى النشيد الخالد.

جزائرنا يا بلاد الجدود ... نهضنا نحطم عنك القيود

هذا النشيد الذي كان أشبه ما يكون بخزان بارود أو صواريخ لا تنفد، يطفح بطاقة نورانية يتغذى منها المجاهدون، وشحنه كهربائية ينتعش بها جأش الثوار ويتقوى صبرهم، يلهب نخوتهم وأنفتهم وهمتهم، فيهبّون كالنمور بل كالصواعق ينقضّون على العدو غير عابئين بعدته وعدده، فينتصرون ويعودون إلى قواعدهم ونشوة النصر تنطقهم:

سلوا جبل الجرف عن جهشنا ... يخبركم عـن قوى بأسنا
ويعلمْكم عن مدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين
بحرجرة الضخم خضنا الغماز ... وفي الأبيض الفخم عذنا الفعاز
وفي كل فجّ حمَينا الذّمار ... فنحن الأباة بنو الفاتحين
نعاهدكم يا ضحايا الكفاحْ ... بأنا على العهد حتى الفلاحْ
ثقوا يا رفاقي بأن النجاحْ ... سنقطف أثماره باسمين

لا فُضّ فوك أيها الشيخ الجليل، ولا حرَمنا الله من براعتك أيها العاشق المغرم بالعربية، الذي سخّر غرامه بلغته سلاحا لتحرير وطنه.

نشيدك هو نشيد للجزائر الحرة، التي أنجبت رجالا ذاقوا من الويلات والمحن وآلام التعذيب ما نقته من زنازن ومحتشدات عين وسارة والجرف وبوسوي. ولأنك من ذلك الجيل الذي تربى في مدرسة الحركة الوطنية من حزب الشعب إلى جمعية العلماء، فإنك كنت شهما وأصيلا وكنت من المؤمنين بالحرية الأوفياء لهذا الشعب، العاملين من أجل استعادة عزته وكبريائه. ولو لم تكن كذلك ما كتبت "جزائرنا" ولو لم تكن صادقا ما كرّمك أبناؤك اليوم. ولو لم تكن رجلا من الطراز المميز ما حفّك من حضر، وما لفّك إخوانك بهذه الالتفاتة التي هي عربون متواضع من العرفان الذي

يوجبه علينا التاريخ، ويمليه علينا الضمير، ويفرضه علينا الواجب.

إنكم أيها السادة، أيتها السيدات، وأنتم تكرمون رجلا نذر عمره لخدمة وطنه وقضية شعبه، شاعرا ومجاهدا ومتحملا لمسؤوليات هامة بعد الاستقلال، تكرمون من خلاله ذاكرتنا الثقافية التي يتهددها النسيان إن لم نتعهدها بالحفظ والصيانة، وتساهمون بوعي فائق في كتابة جزء هام من تاريخنا المسطورة صفحاته بالدماء، المخطوطة نصوصه بالمُهج، وتعملون على حمايته من التلف والاندثار وصونه من الاستهتار والتزييف وأخذ العبرة منه ومن تجلياته، وتؤكدون أن الأمم العظيمة كان وراءها عظماء أفذاذ وعلماء أجلاء ومؤرخون يحسنون ربط حلقات التاريخ وتبيان عناصر القوة والحياة في كل أمة.

أيها الحضور الكريم:

إن ما يزيد اعتزازي بمشاركتكم هذا الاحتفاء المبارك، هو أنكم عقدتموه قبل أيام من إحياء شعبنا الذكرى الخامسة والأربعين لثورة الفاتح من نوفمبر العظيمة المباركة، ولا يسعني إلا أن أهيب بكم وبغيركم

من الجمعيات عبر الوطن، أن يصبح هذا التكريم تقليدا، وأن يتكرر ملتقى أدب الشهداء والشهيد وأمثاله، للشهادة على ما استفادت به الثورة من إبداع المبدعين، وما ألهمته في قرائحهم من إبداعات ستظل خالدة في ذاكرة الأجيال.

وأدعو الله أن يمد في عمر شاعرنا الكبير الشيخ محمد الشبوكي، وأن يزيد من فضله على أمته وعلينا من صفو الكلام وعذبه وأبلغ الشعر وأنفعه، ويرفع من شأن صفوة الأخيار من شعراء الأمة الصادقين، وأن يجعل من هذا الاحتفاء الكريم خطوة تضاف لمسعانا الحضاري، الرامي إلى التصالح مع الذات وذاكرتها، ومنطلقا لوعي تنويري جاد، تأمينا لمستقبل أجيالنا وأخذا بأسباب الحداثة الواعية المرتكزة على الأصالة الحية. فالعلماء هم مَصابيح الأمة وقادتها، والشعراء هم أداتها في مسيرتها نحو الغد المشرق.

أيها السيدات والسادة:

أقف هنا حتى لا أريك توقيف الفعاليات المبرمجة، وأختم مجددا شكري إياكم على خير ما صنعتم، وأسارع إلى الوفاء بما أمّنني عليه فخامة رئيس الجمهورية،

وأعني به الوفاء بالدعاء لشيخنا، بإتحافنا بالمزيد من بنات قريحته الثرة المعطاء، ما تشنف بدوره الآذان وتستضيء بنور حكمته عيون الأذهان. سائلا الله تعالى أن يبقى أدبه منهلا للرواد، ويمتعنا ويزيد بمشاهدته وهو على أفضل ما نوده له من كمال الصحة وبلوغ الأوطار.. آمين.

ولا أنسى أن ألتمس من شيخي المبجل أن يتغمد تقصيري بحلمه وكرمه. كيف أشعر بالتقصير في حق هذا الرجل العظيم وهو صديق الشهيد والدي، ومعلم العديد من إخوتي وبني عمومتي، وأنا أبادله المحبة والصداقة منذ زمن طويل، شطرا منها خلافة لوالدي في صداقتهما، وشطرا بالأصالة عن نفسي. فليسمح لي الآن أن أقبل عارضيه أربعا نيابة عن أخيه الذي يجله فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



مقال منشور بجريدة

النصر

أوراق نوفمبرية
لـ: أحمد فريد الأطرش

من أدباء الثورة الجزائرية
محمد الشبوكي

إن الثورات التقدمية في العالم حظيت بقسط وافر من الأدب الذي يمثل الثورة ونضالها، وتفاعل معها، لأنها نتيجة طبيعية، أو صرخة حق تطالب بها هذه الثورة. ولعل الأدب يأخذ دورا فعالا في عملية التعريض الثوري، ومن هنا كان للأدباء الدور الطليعي في العمل الثوري من أجل إعلاء كلمة الثورة، وتصعيد النضال، ولكن لذلك ثمن.. فقد تعرض الأدباء والمفكرون في الجزائر للعذاب أيام الثورة التحريرية لأنهم حملة أقلام ملتهبة.

وشاعرنا محمد الشبوكي ليس شاهد عيان بل هو واحد من الذين لاقوا العذاب والسجن، لا لشيء إلا لأنه كتب نشيدا ثوريا علاوة على كونه أحد المناضلين. والنشيد الذي كتبه الشبوكي هو نشيد مجاهد يعرفه الكبير والصغير ومن لا يعرف "جزائرنا":

جزائرنا يا بلاد الجدود نهضنا نحطّم عنك القيود

فيك برغم العدا سنسود ونعصف بالظلم والظالمين
سلاما سلاما جبال البلاد فانت القلاع لنا والعماد
وفيك عقدنا لواء الجهاد ومنك زحفنا على الغاصبين

هذا هو النشيد الثوري الجزائري.. فمن هو الشاعر قائله يا ترى؟ إنه من رجال الربع الأول من هذا القرن، من مواليد بحيرة الأرنب إحدى بوادي دائرة الشريعة بولاية تبسة. حفظ نصيبا من الأحاديث وجزءا من القرآن الكريم في الكتاب. وقد كانت قبيلة الشبايكية أحد بطون أولاد حميدة من الفرع الأكبر من النمامشة. ساد عمره فقر شديد فتردد أهله على ضواحي تونس وخاصة الحامة ونفطة وتوزر. بعد أن تمكن من التعليم البسيط، ساعدته ظروفه للتنقل إلى تونس للتعلم في معهدها "الزيتونة"، ويعود إلى الوطن ليصبح أحد الأعضاء البارزين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وهو أحد رواد المعلمين الذين كلفتهم جمعية العلماء بمدرسة الحياة في قرية الشريعة، والتي اعتبرتها الجمعية وكبار روادها أكبر مؤسسة ثقافية لمواجهة خطر الكواليج الفرنسية في المنطقة.

وإلى غاية سنة 1954، يبرز الأستاذ محمد الشبوكي كأحد كبار جمعية العلماء، وآخر ما وجدناه في وثائق الجمعية ما نشره الدكتور أبوالقاسم سعد الله، حيث بيّن في أحد محاضر جمعية العلماء مكانة الشاعر الذي كلفته الجمعية بالدعاية والإعلام.

ومن ثورة التحرير استلهم الشاعر عمق التفكير ولهب الحرف حتى كتب أحد أناشيد الثورة، وفي هذا المجال يقول الشاعر نفسه: "كنت في مدينة الشريعة التي لا تبعد إلا قليلا عن المكان المسمى "الجرف" حيث كثرة عساكر العدو التي تكالبت للفتك بمجموعة من المجاهدين، وعلمت بالنصر الذي أحرزته الفئة القليلة المؤمنة على الكثرة والكثرة الباغية، فانفعلت بأمجاد الثورة العظيمة وامتلأت نفسي غبطة وسرورا بهذه المآثر التي كانت على كل لسان. وبينما أنا على هذه الحال، إذ اتصل بي أحد رجال جيش التحرير الوطني وقال لي: إن الإخوان من قادة الناحية يطلبون منك أن تبعث إليهم بنشيد ثوري ليتغنى به الجنود. وسجلت النشيد ولم تكلفني صياغته إلا سهرة واحدة، فقد كنت ممتلئ الجوارح اغتباطا بمعركة الجرف التي لا أشبّهها إلا بغزوة بدر الكبرى. وفي صباح اليوم التالي سلمت النشيد إلى مبعوث جيش التحرير ثم ألقي علي القبض وسقت إلى عدد من المعتقلات".

وشاعرنا الشبوكي من خلال هذا الكلام يبدو لنا أنه كان متفائلا ومتفاعلا مع الثورة. وعند العودة إلى بعض قصائده التي سلمت من التفتيش الاستعماري، نجدها تجسد ثورة نوفمبر، بما فيها من بطولات وإيمان مجاهديها بالنصر. فهو يقول في قصيدة له بعنوان "لبيك يا ثورة الشعب":

لبيكِ يا ثورة الشعب التي زحفت	تطهّر الأرض من رجس المناوينا
أنت الدواء لشعب عزّ مرهمه	فطالما داؤه أعيى المداوينا

هذي معاركنـــا يا قومُ شاهـدةٌ   انا جهزنــا على قوات غازينا
والله ينصر كــل الثائرين علــى   ظلم الأعادي ولو كانوا فراعينا
لله تلك الدماء الزاكيات سقت   عدوانَ والجُرفَ والزرقاء نقـرينا
جاءت بها نخبة باعوا نفوسهـمُ   لله، والوطن المحبوب راضينا

من خلال هذه الأبيات نجد الشاعر يعيش ثورته بكل صدق. فهو يأتي بالصورة الحية للجهاد بدءا من انطلاق الثورة والمعارك التي حدثت. مؤكدا على الدور الذي لعبه الثوار رغم أسلحتهم البسيطة. وكم هي شديدة فرحة الشاعر حينما بلغه نبأ تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة عام 1958، وفي هذا يقول:

فرح القلب بعـد اكتئـابِ   وحداني الهوى وعـاد شبـابي
فدعوني لنشـوتي يا رفاقي   واعذُروني في صبوتي يا صحابي
فالبطولات عند قوميَ آياتٌ   تبـدّت في العالم الوثّـاب

إن الشاعر هنا يقدم لنا لوحات فنية رائعة عن الثورة الجزائرية. هذه اللوحات التي عاشها واقفا حيا، ثم جسدها في رؤية فنية قد لا تكون في مستوى الحدث الثوري، ولكنها كانت معبرة عن إيمان شاعرها بثورته. وإذا كان هذا إيمان الشاعر الشبوكي بثورة نوفمبر وأحداثها، فإنه يقف من الشباب الجزائري فخورا، لأنه كان في مستوى التحدي.

وفيما يتعلق بالرؤية الإبداعية، فما موقع الشاعر الشبوكي من الحركة الشعرية المعاصرة في الجزائر؟

إذا كان شاعرنا قد عرف بأناشيده الوطنية الثورية، فهذا يدل على الروح الغنائية التي نلمسها في هذه الأناشيد ومنها نشيد الشباب الجزائري الذي مطلعه:

أنا ابن الجزائر أرض الهممِ ومهد البطـولة منذ القـدَمِ
بها العز رتّل لحـنَ الشمـمِ وغنّى بها المجد حلو النغَمِ

إن التلاحم العضوي في بنية القصيدة لدى شاعرنا نابع من أمثلة للحدث والشعر والموسيقى، وهذا لا يتجاوز جيله، ولذلك تظهر قصائده ذات الأبحر الكاملة في تقليدية الشكل والصورة واللغة. هذا بغض النفحات التي تأتي فيها بصورة الحداثة، غير أن هذه النظرة المحلية لم تكن في لغته السابقة حتى في القصيدة السالفة الذكر. ونراه في نص آخر بعنوان "الشاعر" يقترب من مدرسة الشابي، وهو في هذه القصيدة يشكل مسارا جديدا..

ونخلص في الختام بأن الشاعر محمد الشبوكي يعتبر أحد رموز الحركة الأدبية الجزائرية المعاصرة، رغم أننا لم نقرأ له أو عنه كغيره في الصحف أو المجلات الوطنية. ولهذا لا علم إذا كانت كتب الدراسات الأدبية قد تناولت الشاعر بالدراسة، ولكن يبدو وهو الأرجح، كما قال عنه أحد الزملاء، بأن "محمد الشبوكي" هو أحد الزهاد، وهم بكثرة في الجزائر أمثال محمد العيد آل خليفة، وأبو بكر مصطفى بن رحمون. يبقى أن نذكر أن الشبوكي هو أحد الشعراء الكبار وصاحب ثقافة عالية، وأحد

المتمكنين من أحداث العالم الإسلامي. فثقافته التاريخية والسياسية أعطته رصيدا فكريا كبيرا، ومنحته المكانة اللائقة في ميدان الأدب والفكر. ونذكر في الأخير بأن شاعرنا الشبوكي أمد الله في عمره يتولى حاليا منصب رئاسة المجلس الشعبي الولائي بتبسة.



لبيك يا ثورة الشعب..!

قيلت بعد معركة الجرف التي وقعت في سنة 1955

غنى فاطـــرب بالآمـــال شادينـــا وأرشـــد المدلجَ الحيرانَ حادينا
وذاع للســـر نشرٌ في حواضـرنا وشاع للحق صـــوتٌ في بوادينا
تحقق الأمَل المنشود وانطلقـت كتائب النصر من أعـــلى روابينا
وآمن الشعب أن المجد تصنعه بالإتحـــاد وبالرشـــاش أيدينا
فما السياسة أجدت في مطـالبنا ولا الشكاوى أفادت عبر ماضينا
إن الســـياسة أوهـــامٌ مضللةٌ لطالما عرقلـــتنا عن مـــرامينا
وطالما أوهنـــت قوّى جماعتـــنا وطالما شتّـــــت أحرار وادينا
وكم أضعنا من الأوقات أثمنـــها وكم لهـــونا فهـــل كنا مجانينا؟
الله أكبر لاح الفجـــر وانبعثـت أنغـــام ثورتنا الكبـــرى تناجينا
لبيك يا ثورة الشعب التي زحفت تطهّر الأرض من رجس المناوينا
أنت الدواء لشعبٍ عز مـــرهمـه فطـــالما داؤه أعيى المـــداوينا
هذي معاركنا يا قـــوم شاهـدةٌ أنا جهَزنا علـــى قـــوات غازينا
سلوا الفرنسيس عن أيام نكبتـــهمْ في (الجرف) كيف حصدنا منه ما شينا
وكيف فـــرّت بقاياهـــم مهمّشـةً وقـد أذيقـــوا من البلـــوى أفانينا
يا وقعةَ (الجرف) يا تاريخ ملحمة كانت لثـــورتنا نصـــرا وتمكـــينا
إنا نحيي رجالا فيك قد صمـــدوا وحققوا النصـــر أبطالا ميامينـــا
قالت فرنسا وجيش الشعب يرعبها في كـــل ناحيـــة يغـــزو الميادينا
ما كنت أحسب أن (البيكو) يجرحنا وينبـري برصاص المـــوت يرمينا
متى وأين استـــقام الرأي عندهمُ حتى نرى بينهم جيشا يعنّينـــا..؟
قلنا لها: نحن شعـــب في جزائرنا ثرنا لنيـــل العلا لا شيءَ يثنينا

كفاك جهلا فرنسا إننا عـربٌ لسنا نبيت على ضيـم المغيرينا

فتلك أيامكم زالت ولا عجبٌ من سرّه الدهـر آنا سـاءه حينا

فالشعب إن وحّد الآراء محتسبا لا بد مـن نصـره رَغم المـعادينا

والله ينصر كل الثائرين على ظلم الأعـادي وإن كانـوا فراعينـا

لله تلك الدماء الزاكيات سقت (عَدوانَ) و(الجرف) و(الزرقا) و(نقرينا)

جادت بها نخبة باعوا نفوسهمُ لله والوطـن المحـبوب راضينـا

قد صمّموا لا يولّون الورا أبدا حتى تحـرر في الدنيـا أراضينـا

دوّت بنادقهم في كل ناحـية فارتاع من هـول لقياهـم أعـادينا

رصاصهم جندل الأعداء فانتشرت فلولهم في الفيـافي غيـر واعينـا

نحن الألى عرف التاريخ صولتنا منذ القـديم فهـل دِنّا لغازينـا؟

فالأطلس الصامد المرهوب جانبه بالنصـر في حـربنا أمسى يهنّينـا

قم أنشد الشعر... !

بمناسبة إحياء الذكرى العشرين للاستقلال

على هـامة (الدكان) قمْ أنشدِ الشعرا ... ورتّلْ على سمـع الدنا آية (الذكرى)

ووقّـع على أوتـار ما طفحـت به ... صحائفُ مجـدٍ في جزائـرنا الشقرا

وفاخرْ بشعب جاد بالروح في الوغى ... وفي غمرة الأحداث قد أحرز النصرا

وسجّـل ففي دنيا التـواريخ ثـورة ... أقـرّ بنو الدنيـا بقيمـتها الكـبرى

بها جيشـنا المغـوار خلّـد قصـة ... ستبقى على مر الزمـان لنا ذخـرا

بها عـرَف التـاريخ كيـف بأرضنا ... جيوش فرنـسا الظلم قد قُهرت قهرا

فلم يُجدِها تأليب حلـفٍ بأسـره ... ولم يغنها التنكيـل والفتكةُ النكـرا

فأكبِرْ بشعب صامد قد توحـدت ... جماهيره فانقض يستسـهل الوعـرا

له ضمنت حسنَ القيـادة جبـهة ... موفـقةٌ صـان الإله لها الفكـرا

فشقّت به درب الجهـاد بحكـمة ... وهدّت به صرحَ العدوّ الذي استشرى

وما جبهــة التـحرير إلا قــيادة ... مباركةُ التـاريخِ حققـتِ البشرى

أعادت لنا المجد الذي ضاع حقبةً ... ومن حلـكة الأظلام أطلعـتِ الفجرا

وهانحن في (ذكرى لِعشـرين) حقّنا ... من الله ألطـاف نؤدي له الشكـرا

ونفخر بالعشرين مرت مليئةً بإنجاز ... ما لـن نستطيـع لـه حصـرا

معاهد للتعليـم في كـل موطـن ... وفي مكسب التصنيع ما يُثلج الصدرا

حواضـرنا بالجامعـات تألقـت ... وذاك لَعمـر الله ما يبعـث الفخرا

وبتـرولنا سـالت به قنـواته ... تدفّـق في الصحراء يستبـعد الفقرا

وثورتنا الخضراء في الريف أخصبت ... فيا خير ما تعطيـه ثورتنا الخضـرا

أعادت إلى الفـلاح عز حيـاته ... فهبّ نشيـطا في مـزارعه حـرا

فلـم يبق خمـّاسا ولا ذا عمـالة ... وفارق وضـعا قاتما منكـرا مرّا

وضاعـف في ريف البلاد جهـوده ... فأبدل في أرجائه عسـرَه يسـرا

أقول لـه والإعتـزاز يهزّني: ... رُزقت جميل الصبر لا تهملِ البذرا

فأنت الذي تبني الرهافة في الحمى ... وأنت الذي لولاك ما عُـرف اليسرا

ويا أيها الشعـب النبيـل تحـيتي ... وتهنئـتي بالفـوز يا شعبنا الحـرا

واصل جهادك

بمناسبة انعقاد الملتقى الثالث لكتابة تاريخ الثورة

واصـل جهـادك يا مجاهدْ ... واملأْ بلادك بالمحـامدْ

واطمـح إلى الأوج البعيـ ... ـد وسابقِ الزمن المناهد

ورتـبْ للعـلا لا تنتهـي ... فاعل السها واعل الفراقدْ

هـذي الجـزائر يـا أخي ... بالأمس كنت لها المجاهد

بالنار خضت الحـروب ولم ... تخش المصاعب والشدائدْ

حررتـهـا وبعثـت نخـ ... ـوة مجدها رغم المعـاندْ

واليـوم فـي درب البنـا ... ء وفي حقـول البذر رائدْ

فادمْ كفاحـك واكتب التا ... ريخَ عن كـل المشاهـدْ

واحرسْ ربوعك من ذوي الأط ... ـماع عشاقِ المكـائـدْ

اللاعبين على حبال الغـ ... ـدر روّاد المصـائـدْ

المـخربيـن بيوتهـمْ ... الراكضيـن إلى المـوائد

ميـثاقك الوطنـي نِبرا ... سّ يضـيء لك المراشدْ

ودليلـك الدستـور يطـ ... ـفح بالدلائل والشواهـدْ

وبذينـك الدستـورِ تُحـ ... ـرزُ كلّ خالـدةٍ وخالـدْ

أنت النصيـر لضاد يعـ ... ـرب والزمان لـها مُكايِدْ

ولَشَدّ ما عانيـتـه من ... ظلم الأقـاربِ والأباعـدْ

من معشـرٍ ضلّوا الحقا ... ئق بيـن فاسـدة وفاسـدْ

فارفعْ لهـا رايتهـا في ... أرضـها رغـم المـناكد

واجلبْ لها ما تستحـق ... من المراهـم والروافـدْ

وانشـر لها في كـل نا ... حيةٍ معالمَـها الخوالـدْ

واضرب على أيـدي الألى ... عابوا الأكـارمَ والأمجـادْ

وتناكروا القيـمَ التي نلنا ... بها أسمـى المقاصـدْ

وتحـيتي يا ملتـقى التا ... ريخ في أرض المحـامدْ

إلى النصر هبّوا

إلى النصر هُبوا بني فِلسطيـن — وكِرّوا على الظـلم والظالمين

إلى القدس ثالِثـة الحرميـن — هلموا وهبّـوا بنـا زاحفيـن

لطرد الصـهاينـة الآثميـن

ألا أيها الثائـرون الأبـاةْ — أقمتم دليـل الفِدا والثبـاتْ

تحديتمُ الغاصبيـن العتـاةْ وكنتمْ — ببيـروتَ خيـر الحمـاةْ

ودستمْ (شـرون) وجندَ (بيغين)

صمدتم صمود الجبال الرواسي — وحطّمتـمُ كـل عاتٍ وقاسـي

وشرّفتـمُ العُرْب بين الأنـاسي — بقوة عـزمٍ وشـدةِ بـاسِ

وصبـر الجهابـذة المؤمنيـنْ

ألا وحّدوا الصف وامضوا سراعا — فإن النجـاح يُنـالُ انتزاعـا

وخلّوا الألـى آثروا الإنصياعـا — لمن دأبُه أن يعيش الصراعـا

ويفصل حبل الإخـاء المتيـنْ

ألا أيهـا العُرْب أيـن الإبـاءْ — وأيـن الحميةُ أيـن العطـاءْ

فلسطيـن تدعوكُـمُ للفـداءْ — فما لكـمُ اليوم صرتم هبـاءْ

ألستم بني أمـة الفاتـحين؟؟

فوا عجبـا يستبـاح الذِّمـاز   وينتهـك العرضُ فـي كـل داز

وأبنـاء يَعربَ رغـم الدِّمـاز   قـد استسلمـوا كلُّهـمْ للبـواز

يغِطّون في نومهـم هائثيـنْ

فوا أسَفـاه خبـا صوتُنـا   وشُتّت يـا عجبـا شملُنـا

ورحنـا نهـادن أعداءنـا   وقـد سلبونـا فلِسطيننـا

فيا للفضيحة فـي العالَميـن

ألا هَبّـةً للفِـدا والنضـالْ   بني العرب طالت عهودُ الضلالْ

فسوّوا الصفوف أعِدوا النصالْ   إلى القدس ثوروا بغير اختـلالْ

فـإن العواقـب للثائريـنْ

تعالَـوا فقد لاح نجـم الصبـاخ   وأذّن في القدس داعي الفـلاخ

يقُدْ كلَّكـم (عرَفـات) الكفـاخ   مثال الشهامـة خِدن السـلاخ

سليـل الجهابـذة الخالديـنْ

أعيدوا (صلاحا) لنـا من جديـدْ   وأجلوا عن القدس رجس اليهـودْ

وأحيوا لنـا المجـد ذاك التليـدْ   وبَرّوا عهـود الأبـاة الجـدودْ

وكونـوا بحـقٍّ لهـم وارثيـنْ

الا فلنحيّ جنود الحجارة فقد خلّدوا ذكرهم عن جدارة

ونالوا مكانتهم في الصدارة بكلّ صمود وكلّ مهارة

فحياهمُ الله في الصامدين

لقد ضربوا المثل الأوحدا بما قدموا من ضروب الفِدا

فكانوا الضراغم رَغم العِدا وما لهمُ من صنوف الرّدى

فطوبى لأبطالنا الرافضين

الشاعر المستهام

كتبت في معتقل الضاية (بوسوي) سنة 1957

على شاطئ الحلُم الناعم وفوق رُبى موجه اللاطمِ

يهيم بآماله الكُبريا ت ويصبوإلى فجرها القادم

ويسكب ألحانه للجمال ويصغي إلى طيره الحائم

ويهتف للنجم أمّا تجلّى ضحوكا على أفقه الغائم

يُرى تائها في قفار الذهو لِ يُنغمّ في نايِه الباغم

يُرى باسما بين جمع الأَناسي وما هو في الحق بالباسم

متى يشتفي الشعب من كربه ويخلُصُ من خطبه الغاشم

ويطلعُ في الأفق نجم السعو دِ ويأفلُ نحسُ الشقا الجاثم

ويكتسحُ النورُ نجم الظلام ويسطو على ظلّه الآثم

هنالك يحلو انشقاق النسيمِ على ضفة الجدول الهائم

ويعذبُ للشاعر المستهام نشيدُ الهوى اللاهبِ العارمِ

فيمرَحَ كالطفل في نشوة على شاطئ الحلُم الناعم

***

آفاق عربية

في أواخر الستينيات اطلع الشاعر ذات يوم على عدد من مجلة (آفاق عربية) التي كانت تصدر من باريس فأوحى إليه عنوانها هذه القصيدة

لا تلُمنا على الفدا والحمية | نحن قوم آفاقنا عربية

قد شققنا الطريق للمجد بالإيـ | ـمان والطهر والخلال السنية

وصمدنا للحادثات وصغنا | غُرَر الصالحات للبشرية

وصنعنا التاريخ من بسمة الفجـ | ـر وقُدنا الجحافل العسكريه

والحضارات قد حمَينا حماها | وركّزنا أعلامها الشرقية

فاستثارت بنا مجاهل دنيا | نا فضاعت الربوعُ القصيه

وإذا ما الزمان خادعنا حيـ | ـنا فضاعت رياضنا الشعريه

وافتقدنا جبالنا ورُبانا | وصبرنا على حياة غبيه

فلقد هبّتِ العزائم فينا | وتنادت بنا دماء زكيه

فنهضنا نبغي التحرر نستو | حي مُنانا من رنّة البندقيه

أيها العُرْب، يا بني الثورة الكبـ | ـرى ألسنا ذوي النفوس الأبيه

أين إيماننا وغيرتنا المثـ | ـلى وأين الفدا وأين الحميه؟؟

ما لنا اليوم يستبد بنا الضيـ | ـم ونرضى في أرضنا بالدنية

هذه القدسُ قبلتنا الأو | لى ومهد الهداية النبويه

وفلسطين أرضنا كيف تحتلُّ   ثراها عصابة همجيه؟

أين أبناء يعرب الصيد هل فيـ   ـكم بني القوم من صلاحٍ بقية؟

إن في (الفتح) آية النصر فامضوا   كلكم في (العواصف) الفتحية

إيه (آفاقنا) إليك هُتافي   ونشيدي وصَيحتي العربية

***

وطنـــي..!

قال هذه القصيدة غداة خروجه من معتقل (عين وسارة) بتاريخ 13 مارس 1962
وهو آخر المعتقلات التي حشر فيها أثناء سنوات الثورة المباركة

وطنـي يـا أمـلـي الأسمـى ويـا   فرحتي الكبرى ويا أرض الجـدودِ

فيـك أشتـم عبير المجـد دومًـا   وأنـا فــي نخـوة العز الجديـدِ

في رباك الشـم تزهـو ذكرياتـي   فأناجيـها ويحلـو لي نشيــدي

يـا نعيمـا لسـت أهـوى غيــره   أنا في حضنـك ذو عمـر سعيـد

كــم أباهــي بمزايــاك التــي   فاقتِ التعـدادَ مـن ذكـرٍ فريـدِ

دُم لأبنـائــك تعـتـزِ الـدّنـا   بمزايـاكَ أيــا أرض الــجـدودِ

***

ليلاي رمز كرامتي

دفاعا عن اللغة العربية

لـغـة الأعـاجـم قـد غـزتْ　　لـغـةَ الأعـاربِ فـي حمـاهـا

وتمكـنـت فــي أرضــهـا　　واستعمــرت حتـى سمــاهــا

عجبــا! أفـي كـل المجــا　　لس لا يـرنّ سـوى صداهـا!؟

* * *

مــا عيــبُ غــادةِ العُـرْب　　حتـــى تصيبهـــمُ سواهـــا؟

أفليســتِ الدنيــا جميعـــا　　قــد تفانــت فــي هـواهـــا

أيــامَ كـــان العُــرب ذا　　دت حوضَـها.. طُـرّا فداهــا

والـغـَربُ ظـــلّ مولّــهـــا　　دهــرا يتيّـــمـه بَـهَـاهـا!؟

* * *

قــل للــذيـــن تنكــروا　　لعهود ليـلى فـي صِبــاهــا

واســتـهــزأوا بــحـضـــارةٍ　　كالشمس فـي أجـلِ صحـاهـا

وتجـاهلــوا القـمـم التـي　　هتـــف الزمــان بمستـواهــا

وتـحقـرّوا ليــلــى وأمـســوا　　يــا لَـحمقهــمُ عـدِاهـــا

وتعـشقـوا (مــاري) اللعــو　　ب فأسكـرتـهـمْ مقـلتــاهـا

هامـــوا علــى عتَبــاتـهــا　　يتزاحمــون علــى رضــاهــا

كـــلّ يــريــد وصـــالــهـــا ويـــودّ أن يــمــتــصّ فــاهــا؟

(مـــاري) طـلـيـلـيّـة فـــانـــا لا أبـتـغـــي أبـــدا هـــوَاهـــا

مهـمـا بـــدا (مكـيـاجـــهـا) فـــالنفس تـــأنَـــف مبتغـــاهـــا

مـــهـمـــا زهـــت وتـــبـــرّجـــت واستعملت أقصـى دَهـــاهـــا

فانـــا الــذي لا أرتضـــي أبـــدا وحــقِّـــــك أن أراهـــــا

انـــا هائـــم بجمـــال ليـلـــى عاشـــق أذكـــى شـــذاهـــا

أنـــا حـــافـــظ لـــودادهـــا متعشّـــق أحلـــى رؤاهـــا

فانا ابــن أرض قـــد عرفتُ الـــ مـــدّ فـــي أسمـــى ربـــاهـــا

وأنـــا ابـــن قـــوم حرروا الدنـــ ـــيا وقـــد نزعـــوا دُجـــاهـــا

فبـــدت تـــمـيـــس رشـيـقـــة تختال في أبهـــى حُـــلاهـــا

ليـــلاي رمـــز كـــرامتـــي وشعـار مجـــدي فـي عُلاهـــا

تعـســـا لـــدنيـــا قـــد دهـــا ليـلاي فيـــهـا مـا هـــاهـــا

والـــعـيـــش مـــرٌّ حـنـظـــلٌ إن غاب عـــن ليلـــى سَنـاهـــا

***

ابتهالات (1)

بدا النجم وضّـاا يبشّر بالفجـــرِ فقم لصـــلاة الله منشـــرح الصـــدرِ

فهذا عبير الصبــح ينفح عابقًــا يضمّخ أبنـاء البسيـطة بالعطـــرِ

وذي نفحـات الله فاغنـم نوالَـهـا واخلِص دعاء الله في السروالجهرِ

وقل يا إلهي قد دعوتك ضارعـا فأنت الذي تعفو وأنت الذي تدري

فمــا أنــا يــا ربي سوى مذنــب أتى لبابك يرجو منحه منّة الغُفرِ

مناجاة هلال رمضان

كتبها الشاعر في معتقل الضاية (بوسوي) سنة 1959

يـا هلال الصـوم يـا خير هــلالِ فيك أطيافٌ من السـحر الحـلالِ

لُحت فـي الأفق وضّـاح السنـا مشـرقَ الـطلعـة مـوفور الـدُّلالِ

فـي محيــاك تـراءت ذكريــاتٌ تمـلأ الكـون بأضــواء الـجـلال

تِه علـى الدنيـا جميعا سابحـا تبعـث العِبـرة مـن تلك المجـالي

واسكُـبِ الأنـوار فـي أوطاننـا فبهـا شــوق إلــى ذاك الجمـال

شفّها الوجـد وأضناهـا الجـوى فانبـرت تسعـى حثيثـا للنضـال

إننا نهـواك يــا رمــز التقـى فليــاليـك لنــا أحلـى الليـالي

فــي حناياهــا نناجـي ربنـــا ونصلــي بالخشــوع والابتهـال

فـإذا الكــون جمــال كلـّـهُ ساحــرُ الروعـةِ في أبهى احتفــال

وإذا القـرآن يحـدونــا إلـى عالَـم الطهر.. إلـى أوْج الكمـالِ

وإذا الأرواح فــي أفـراحــهـا تشـرب النـور وتهفـو للظــلال

وترى الفجـر وقد لاحـت لــهُ منـه أقباس علـى هـام الجبال

عبقـري اللحـن دفّـاق الــرؤى رائـع الموكب في أسمـى مثـالِ

***

ليلة القدر

ليلة القدر تهادت	تحمل السرّ الثمين
فُضّلت عن ألف شهرٍ	قال رب العالمين
نزل القرآنُ فيها	رحمةً للمؤمنين
وبها من كل أمر	ينزل الروحِ الأمين
وسلام هي حتى	مطلع الفجر المبين

* * *

أيها المسلم بادرْ	بالتقى في كل حينْ
واعمرِ الليلة بالذكـ	ـر وجانبْ ما يَشينْ
واغتنمْ رحمة ربي	فهو ملجأ المذنبينْ

***

ابتهالات..! (2)

يـا خالـق النـخـل والكـرومْ　　　يـا مبدع الشـمـس والنـجـومْ

يـا فاطـر الأرض والسّـمـاء　　　يـا خـالـق النـور يـا حكيـمْ

يـا باعـث الرسـل للأنـام　　　يـا واهـب المـاء فـي الغيومْ

أدعـوك يـا حـاشـر البرايـا　　　في يـومـك الحاسـمِ العظيـمْ

أن تكتب الصفـح عـن ذنوبـي　　　تـفضـلا مـنـك يـا كـريـمْ

فأنـت أنت الغفـور حقـتّـا　　　للمـذنب الضـارع السـقيـم

فامنن إلهـي وجُـد بعفـوٍ　　　مـن فضـلك الواسـع العميـمْ

***

نشيد الشباب الجزائري

كتب في معتقل عين وسارة (بولكزال) سنة 1961

أنـا ابن العربيـة شبـل العريـن ونسـل الغطارفـة الفاتـحيـن

تحـدّرتُ مـن سلـفٍ ثائريـن شعـارهم الحـقُّ دنيـا وديـن

فـسنّـوا الفضائـل للخافقيـن

أنـا ابـن الجزائـر أرض الهمـمْ ومهـد البطولـة منـذ القـدمْ

بهـا رتّل الدهـر لحـنَ الشمـمْ وغنى بهـا المجـد حلـوَ النغـمْ

فـدوى صداه طـوال القرونْ

بـلاديَ يا بهجـة الناظريـنْ جمالُـك أغنيـة المنشـدينْ

وتُربُـك في الخصب كنزٌ ثميـنْ وجوـّك للجسـم لطـف وليـنْ

فتيهـي بـلادي علـى العالميـنْ

أحبـك يـا موطـن المَـكْرُمـاتْ ومعـقـل أسـد الفـدا والثبـاتْ

سأرعـى حقوقك حـتى الممـاتْ وأشـدو بفـخـر بنيـك الأبـاةْ

فحبُّـك يـا موطنـي لـيَ ديـنْ

جبـالك أعظِـمْ بها من قـلاعْ شبابـك منـها تولّـى الدفـاعْ

فـأردى العِدا يوم هـول القِرَاع فهـل كجبـالك عنـد الصـراعْ

ومَـن كشبابك فـي الثائريـن؟

فَخَـــارُك يـــا موطنـــي شعشـــعا وصوتك فـــي الكـــون قد لعـــلمـــا

وتُربـــك بالعـــز قـــد أمرَعـــا وهـــذا شبابـــك قـــد أسـرعـــا

يـــوالي الجهـــاد بعـــزم مكيـــنْ

لـــواؤك رمـــز الفـــدا والوفـــا برَغـــم الأعـــاديَ قـــد رفـرفـــا

يـــزُفّ التحـــايـا لشعب وفـــى ويسـدي بشـــائر عهـــدِ الصفـــا

ويعـلـــن نـصـــرك للخـافقيـــنْ

**

نشيد بنات العَرب

نحن بنات العرب مَن مثلنا في النسب؟
أمجادنا معلومةٌ مكتوبة بالذهب
أمتنا مشهورة بعلمها والأدب
أسلافنا أمجادنا تاهوا بأعلى الحسب
شقوا طريقا للعلا فازوا بأسمى الرُّتَبِ
تاريخهم محامدهم قد خلّدوا في الكتُبِ
قد زرعوا الأوطان عد لا واستجابوا للنبي
وأمّنا خديجة مقامها في الشهب
بها نفاخر الدنا في مشرق أو مغرب
رسولنا خير الورى من عجَم أو عرَبِ
وديننا الإسلام عد ل وهدى للتوّبِ
شعوبنا ثائرة تقلَعُ شوك العطَبِ
أبناؤها بناتها حماتها في النوَب
قد حرروها اليوم من ظلم العِدا من حِقَبِ
واسترجعوا كرامة الـ أوطان بعد الوَصَب
وسارعوا يبنونها في تلّها والسبسب
وهذه خيراتها تفي بكل مطلب
فكل هذا عندنا مَن مثلنا في النسَبِ؟

نشيد الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة بشرشال

لحّنه الأستاذ: هارون الرشيد

مـــن هنــــا.. مـــن قلـعــة المـجــد وشــرشــال الأســـوذ

مـــن هـنـــا .. من جبـل التـاريـخ فـي أرض الــجــدوذ

نــجتنــي العرفــان كي نحمــي أمجـــاد الــوطــــن

***

نحــن جيـــشٌ وطنـــيٌ نــحـــن أنجــاد الحـــمـى

نــفتـــدي الموطـــن بالـــروح وإهــــراقِ الـــدِّمـــا

دأبُــنـــا أن نحــرس الثـــورة مـــن كــل المحـــن

***

نــحـــن للشـعـــب حـمــــاةٌ وأبـــنــاةٌ أوفـيـــاءْ

نحــــن للمجـــد بُنـــاة نحـــن دومـــا أقويـــاءْ

نــحــن أبنـــاء الأولـــى قـدّمـــوا أغـلـــى ثمــن

***

رمـــزنـــا قـــد خُــط فيــه (عانـــق السيـــفُ القـلــمْ)

بهـمـــا دومــا نباهــي فـــي الدنــا كـــل الأمـــمْ

هــكـــذا نبنــي حِـمــانــا هــكــذا طـــــولَ الزمـــنْ

***

أرضـنــا تشــمـــخ فـخـــرا تتحــدى كــلّ ظـالـــمْ

تبــعـــث النخـــوةَ فينـــا فهـــي للـعـــز معـــالـمْ

صـــحُـــف التاريـــخ فيهـــا ســـوف لا تنســى ولـــنْ...

***

نحن بالإسلام نبني مجدنا

بمناسبة الملتقى الثامن عشر للفكر الإسلامي المنعقد بتاريخ 10–16 يوليو 1984 في العاصمة

ملتقـى الصحـوة يـا نعـم اللقاءْ   باقـة الشكـر وإكـليـل الثنـاءْ

قد جمعت اللامعيـن العلمـاءْ   ناشـري الحق الهـداة الأوفيـاءْ

ودعـــاة الله رب العـالميـن

هـذه الأيـام مـا أحلى رؤاهـا   طفحت بالبِشـر وانهلّ بهـاهـا

وتمتـعنـا بأنـغـام هـواهـا   وتعطّـرنـا بِهِـبات شـذاهـا

وتذكرنـا عهـود الصالـحين

يـا رجال العلـم أقطاب الرهانْ   بكمُ الإسـلام أمسـى فـي أمـانْ

وحَـدوا السيـر فقـد آن الأوانْ   وانجلى الليـل ونور الفـجر بـانْ

وتجـلى دربُنـا للعـالميـن

نحـن بالإسـلام نبني مجـدَنا   وبـه نـحيـا ونعـلـي شأنـنـا

ليـس تغرينـا تَفـاهـات الدُّنا   نحـن قـومٌ شرعُـنـا قرآنـنـا

هـو حقـا رحـمةٌ للعالميـن

أمـة الإسـلام هُبـي للعمـلْ   بكتـاب اللـه مـن غير كسَـلْ

طبقـي مـا فيه من خيـر المثَلْ   وأعيـدي عهـد أسـلافٍ أولْ

تجتنـي العـزة والفـوز المبيـن

أمة الإسلام هذا دورنا   فهلموا نعلي وحدتنا

ولنشدْ كلّنا أمجادنا   ولنطاردْ كلّنا أعداءنا

من فلسطينَ بلادِ الثائرينْ

ليست الصحوة أقوالا تُنمّقْ لا   ولا إرسالياتٌ تتشدّقْ

لا ولا إعلامِيات تفيهقْ   إنما الصحوة إسلامٌ يُنطقْ

في بلاد الله أرض المسلمين

يا ولاة الأمر في بلداننا   حكّموا القرآن في أوطاننا

وأعيدوها إلى أصقاعنا   فرحة عارمة تحدو بنا

نحو إرساء حياة المؤمنينْ

إن كبَت بالأمس أمجاد لنا   وخبَت في أفقنا أنوارنا

وتحدّت ظلمات حولَنا   فلقد ثُرنا وحققنا المنى

بضحايانا على مر السنينْ

من هنا من أرض (باريس) الشهيرْ   وربوعِ الثائرِ الشهمِ (الأميرْ)

بلدِ الثوار أبطال النفيرْ   نحن ندعو كل إخوانِ المصيرْ

لاتحادٍ دائمِ الحبل متينْ

فلنعبّدْ باتحادٍ دربَنا   ولْنوجّه للعلا شأننا

ولنقيّم سلفا تاريخنا   فهو نبراس منير قصدَنا

وهو كنز أبدَ الدهر ثمينْ

ذكرى الشيخ العربي التبسي..!

بمناسبة إحياء ذكرى استشهاد الشيخ العربي التبسي السابعة والعشرين
بتاريخ 3–6 افريل 1984

ذكرتك فاهتاجت همومي وأشجاني ... وغادرني شعري وفارقتُ ألحـاني

وأحيت جراح الذكريات مواجـعي ... وأذوت رياح الفقد أوراق أغصانـي

ذكرتك يا شيخي فهزّت جوانحـي ... واريخ عهـدٍ بيننا خالدِ الشــان

أشيخَ التقى قد كنتَ للدين ناصـرا ... تدافـع عــن أحياضـه بتفـانِ

وكنت وفـيـا للجزائـر مخلصـا ... تكافح عنهـا كل ظلـم وطغيـانِ

وكنت مثالا في الصمـود وفي الفِدا ... تواجه أنـواع البـلايا بإيمـانِ

لقد فقدتْ فيك الجزائر جِهبـذا ... قضى العمر يبني الشعب دون توانِ

وقدمت في الميدان روحَك فديـةً ... شجاعا رفيـعَ الرأس غيرَ جبَـان

فقدناك والآمـال بعدك حُققـت ... وأينعت الأثمـار فهـي دوانـي

فليتك كنت اليوم في أرضـك التي ... شُغفتَ بها حبا وكنت لها الحاني

ولكنها الأقدار شاءت فمرحبا بما ... شاءت الأقدار في العالَم الفانـي

هنيئا لك الخلـد الذي قد نزلتـه ... شهيدا يفوح العطر من دمِك القاني

لئن غاب عنا الجسم منك فإنمـا ... مباديـك فينـا لا تُـرام بنسيـانِ

جزى الله روادا ميامين أيقظـوا ... ضمائر شعب فاقدِ الدرب حيرانِ

فشقوا له طرق الحيـــاة ونوّروا ... مسالك للتفكيـر والمنهج البانـــ

فعاد إلى الدين الحنيف مصححا ... عقيدتَه فــي الله ليـس لــه ثــان

وشيّـد للنشء الفتــي معاهــدا ... تُعلم في أحضانها (ضاد) قحطانِ

وشب على الدين الصحيح مقاوما ... عِداه بإصــرارٍ وهمــةِ يقظــانِ

وأقبل يجني للحيــاة سلاحَهـــا ... عدادا لأخذ الثأر من دون عدوانِ

وأضرمها في عالـم الناس ثــورة ... أقرّ بهــا القاصي وغنى بها الداني

فعادت إلينا بالكفـــح سيــادة ... تكبّد فيها الشعب باهظ أثمـــان

وهاهو ذا يبني بفضــل كفاحــه ... حضارتَه المثلى بعلـمٍ وعرفـانِ

* * *

فقل للذي يعوي علــى كل منبر: ... كفاك هراء أيها السادر الشانـــي

جنيت على التاريخ في حكمك الذي ... ظلمت به الأخيار يا لك من جاني

أعد نظرا فالحــق أبلج ناصــعٌ ... يلوح لمن يرنو ومــا أنت بالرانـي

أغرّك أنّا قد سكتنا ولـم نكــن ... لنعبأ بالأقوال من وحي شيطـــان

نمر على الأقــزام مر أكــارم ... ونقذفهم بالصــمت في الهذَيــان

فلا تغتــرر إن الحقائــق حيــة ... فلا الدّجْل يخفيها ولا قولُ بُهتـانِ

ألا إنما التاريخ عــدلٌ ومنصــفٌ ... فلا يجحدُ التاريخ أفضــالَ إنسـانِ

ولا يغمِطُ الحق الذي قد تبلّجت ... معالمُــه الزهــراء منــذ زمــانِ

ومهما تغالى الجــاحدون وزوروا ... فــإن مــآل الزور في ذوَبَــانِ

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالأمس واليوم

دعوها فإن الله قد شق لها الدربا — فهبت إلى الميدان تستسهل الصعبا

وتعلن في الدنيا كفاحا مظفّرا — أقامت بـه للدين منطلَقا صلْبا

فحررتِ الأفكار من كل لوثةٍ — وحطّمتِ الأصنام تستوحدُ الربا

وبارك رب الناس في خطَواتها — فحققتِ المسعى وأيقظتِ الشعبا

فباهى بها التاريخ من كل محفَل — وطبّقتِ الآفاقَ شهرتُها وثبا

معاهدنا للناشئين مَشِيدةٌ — على الجهل والتخريف أعلنت الحربا

تخرّج منها في سنينَ قليلةٍ — رجال تفانَوا في جزائرهم حبا

وفي كل صَقْع لاح نادٍ ومسجدٌ — كي يستبين الرشد من شبّ ومن شبّا

صحافتنا.. أكرِمْ بها من صحافةٍ — تنير طريق الرشد تستبعد الحَوْبا

ترفعتِ الأقلام فيها عن الهوى — فلا تجد التغليط فيها ولا الكِذْبا

فكم نالها العدوان من شر حاكمٍ — حقود على الإسلام تبّا له تبّا

ولكنها رغم العراقيل واصلت — رسالتها تجلو الظلام متى دبّا

فيا لك من جمعية سحّ غيثُها — أعادت إلى الشعب الذي أجدب الخصبا

* * *

تُعاودني الذكرى فتهفو مشاعري — إلى ذلك العهد الذي سكن القلبا

فذاك (ابن باديس) الإمام،جهاده — صحائفُ تبقى في جزائرنا كَسْبا

أبيٌّ، أمينٌ، عالمٌ، مبتحرٌ — غيورٌ على الإسلام يستنهض العربَ

لقد صاح في أرض الجزائرصيحة — أهاب بها شرق الجزائر والغربا

وأعضادُه الغرّ الميامين خلّدوا — مواقف لا تنفك تغمرنا عُجبا

لقد أنهضوا شعبا تطاول نومه — فقام يباهي بالنسيم الذي هبّا

ويزرع في حقل الحياة بذورها — ويغرس في جدّ حدائقَها الغُلبا

فيا لهمُ من عصبةٍ وطنيةٍ — ودينيةٍ أجلَتْ عن الوطن الكَرْبا

وما فارقوا الدنيا حَتَى قام بعدهمْ — شبابٌ كريمٌ عن جزائره ذبّا

كانوا لدين الله نصرا مؤزّرا — وللضاد كانوا في حنادسها شُهبا

وفي ثورة التحرير سل عن كفاحهم — تجدْ كل شهمٍ منهمُ ثائرا قُطبا

* * *

وهاهي ذي عادت تواصل سيرها — لنفع الحِمى لا تبتغي أبدا (حزبا)

تقدّمُ للشعب الأبيّ جهودَها — وتأملُ أن يزداد من ربّه قُربا

تدافع بالبرهان كل تهجمٍ — ولا ترتضي شتما لخصمٍ ولا سبّا

فقلت وإني هاتف لرموزها: — دعوها فإن الله شق لها الدربا

ركبنا مطايا الشعر

كان وصديقه الراحل الأستاذ محمد الطاهر فضلاء يتطارحان نتف الشعر وطرائف انعقاد ملتقى الفكر الإسلامي فكان من بين النتف التي جاش بها خاطره هذه القطعة:

ركبنا مطايا الشعر في كوكب الفجرِ ... وجئنا نناجي في الهوى ملتقى الفكـرِ

ونهدي تحايانا ونبدي ابتهاجنــا ... إلى المَجمع السامي المكانة والقدرِ

بباتنةٍ أرض المكــارم والفِــدا ... وعاصمـة الأوراس مُعتصـم الحرِّ

حللتُ بها والصدر يطفح بهجـةً ... فخِلتُ كأني في الشباب من العُمرِ

ذكرتُ بها عهدا جميلا قضيتـه ... فذِكراه مازالت يجيش بها صـدري

فدعني أمتّعْ بالمحاسن مُقلتـي ... وأنثر علأرضِ الأحبة مـن شعـري

فيا علمـاء العصـر أنتم هداتُـه ... وأنتم أساة القلب والعقل والفكـرِ

فقد عمّه الطغيانُ في كلّ موطـنٍ ... وضاقت به دنيا الضلالـة والخَتْـرِ

فداووا مريضا قد تفاقـم داؤه ... وحفّت به بلـواه في البَرّ والبحـرِ

***

يا أبا القاسم

بلد الشاعر أهديك التّحايـــا　　　من صميم القلب من عُمق الحنايــا

فأنت للشعر مهدٌ والحمـــى　　　وبــه توزر أحــرزت المزايــا

جوّدَ الشعــر ووعَى شعـبه　　　فـ(أغانيه) لـدى الشعـب مرايــا

كـم تغنّت تونسٌ فـي عــزةٍ　　　بقوافيــه وجــادت بالضحـايـا

فاستردّت مجـدها رغم العِـدا　　　واعتلــت رايتــها بيــن البرايــا

* * *

يا أبــا القاسـم يا صـوتًا دوى　　　في ربــوع القُطـر في كل الثنـايـا

صُغت من روحك شعـرا خالدا　　　ضنّتــه مــن كـل ألـوان الدنـايـا

هِجت فيه الشعب من أطرافـه　　　فانتَشت فيـه كريمـات السجـايا

فانبرى يبني ويُعلـي مجـده　　　يزرع السـؤدد فــي كـل الـزوايـا

* * *

يا ضريحا ضمّ نبراسا جــلا　　　ظلْماتِ كانت على القطر بلايــا

وتحدى كل أنواع الـــردى　　　بشُعاع الشعـر فارتـدّت خزايــا

لـك منـي آهةٌ شعريـــةٌ　　　من صميم القلب من عمق الحنايــا

قريتي

أنت يـا قريتي حديقةُ أحـــلا — مي وينبوع بهجتــي وانشــراحــي

فيكِ يا قريتي الجميلةَ سُلـوا — ني الوحيـدُ ومَنزهـي وارتياحـــي

فيكِ أنسي وفيك تشعر نفسي — بالرضـا فـي مسائها والصبـاحِ

فيك تصبو مشاعري فأناجـي — في سكـوني سـرّ الليالي المـلاحِ

فيكِ أهوى الحياة تحلو مرائيـ — ـها كرُبَـــاتٍ فتنتشـي أفــراحـي

***

إيه يـا قريتي الصغيـــرة إنــي — فــي ثراك قرأتُ لــوح جـدودي

من هنا مر (عقبة) وابن النعمـا — ن لنشر الدين الحنيـف الجديـدِ

ولواء الجهاد رفرف في أفــ — ـقكِ يدعــو الجميــع للتوحيـد

فانجلت ظلمة القرون الخوالي — وتجلّى فجر الضيـــاء الولـيدِ

وانتشى الكون بالأذان حُبورا — وازدهى الرّبع مــن جبـالٍ وبيـد

قد تربعتِ فوق سهلٍ فسيـحٍ — تسرح العين فـي مـداه البعيـدِ

وحوالَيكِ هـــالـةٌ من جبـالٍ — كم حمت كـل ثائـرٍ صنـديـدِ

منظــرٌ رائــعٌ تــروق مرائيـ — ـه وتُغـري برائعـاتِ النشـيدِ

هــذه قريتي التـي أجتبيـــها — وإلى رباها أصبــو بحبٍ شـديـدِ

سئمت الدنا

سئمت الدنـا وكرهت البشر   وتُقت إلى العيش فوق القمرْ

هنالك كي لا أرى غير كونٍ   تزينّه رائعات الصورْ

بريء من الزور والترّها   ت بعيد عن الكبريا والبَطرْ

جوانحه طاهراتُ الظلالِ   وآفاقه طافراتُ العِبَرْ

يوحّد فيه الفتى ربه   بقلبٍ تطهـّر من كل شرْ

فأحيا هناك فريدا سعيدا   أناجي الإله وأرجو الظفرْ

وأنسى حياتي التي عشتها   على الأرض حينا وأسلو الذكَرْ

وأغسل نفسيَ من كل رجسٍ   عرَانيَ من موبقات البشرْ

وأنشد وحدي نشيد السلامِ   وأعشَق وحدي جمال القمرْ

***

أين فيروز..؟!

في معتقل لودي (بجوار مدينة المدية) استمع الشاعر إلى شريط غنائي للمطربة اللبنانية الشهيرة (فيروز) عند زميله بالمعتقل مسعود زيتوني. وذات مساء دخل الشاعر غرفة الأخ زيتوني وسأله مداعبا: أين فيروز؟ فكانت القصيدة:

أين (فيـــروزُ) يـــا رفيقي فإنـــي   لأغاريـــدهـــا أذوب اشتيـــاقـــا

كم سبَتني بصوتها في رُبى(لودي)   وكـم لـــذّ شدوُهـــا لـــي وراقـــا

إن (فيروز) نجمةٌ في سما الفـــنّ   تـــراءت فأشرقـــت إشـــراقـــا

لحنها العذب يملأ النفس إحســا   ســا بذ كـــل صـــوت وفاقـــا

كلـــما غرّدت تملّـــكت القلـــ   ـــب وكانـــت لهمّـــه تريـــاقـــا

تبعث الآهـــة الحزينة في الكـــو   ن فيغـــدو مولهـــا مشتـــاقـــا

والمزاميـــر حولهـــا والكمنجات   تـــوالـــي حنينهـــا الدفـــاقـــا

فإذا الكـــون كلّـــه في ابتهـــاج   يتحسى نشيدهـــا الرقـــراقـــا

بنت لبنـــانَ قد أثرت أحاسيـــ   ـــسي وأضرمـــت مهجتـــي أشواقـــا

فارفقي بـــي وسالمي قلبيَ الدا   مي فقد بـــات مدنفـــا خفّـــاقـــا

***

وصف مجلس أدبي

دعي الشاعر إلى مجلس أدبي ضم جماعة من رفاق الأدب والشعر فاقترحوا على الشاعر أن يصف المجلس فكتب هذه الأبيات:

طاب والرحـــمنِ هذا المجلسُ كل مـــا فيه جميــلٌ كيّـــسُ

رنّــتِ العيدان فيــه وانتشــت بمرائيــه الحســـانِ الأنفـــسُ

والكمنجــات تناغــت صبــوة كــاد منهــا دمعُنــا ينبــجس

والزرابي هـــاهنـــا مفــروشــة كريــاضٍ تـــاه فيهــا النرجــسُ

هــذه أخونــةٌ مبثـــوثـــةٌ كاد أن يعرب عنهــا الأخـــرَسُ

تتناجـــى فوقهـــا متــرَعـــة تُبهـر الجلاّس هــذي الأكـؤسُ

وطعــام لـــذّ حتـــى إنّـــه لا يُـــرى مــا هــو منــه أنفسُ

ورفاقـــي قد تهـــادوا أدبــا ليـــس فيـــه عبـــث أو دَنَسُ

فهنيئا لكــم في ليـــلــــة غاب عنهــا غمّهــا والبُـــؤسُ

***

الخاتمة

هذا الكتاب ليس دراسة نقدية أو أكاديمية لشعر الشيخ محمد الشبوكي رحمه الله، إنما محاولة لجمع بعض آثاره التي مازال منها الكثير ينتظر الاكتشاف. وغايتي في ذلك نقل بعض جوانب هذه الشخصية الفذة لأبناء جيلي، اعترافا بتضحياتهم ودورهم المهم في الحفاظ على قيم المجتمع ودورهم في رسم معالم الوطن وإسهاماتهم الجليلة في سبيل نجاح ثورتنا الخالدة. فهم جزء من تاريخنا العريق، وهم مرجعنا النيّر لنعرف من نحن، وما هي الواجبات الملقاة على عاتقنا لنقحم المستقبل دون أن نضيع خصوصياتنا كشعب لم يأت من العدم.

إن رجلا بحجم الشيخ محمد الشبوكي شخصية خلابة من جيل لن تنساه الأجيال، وإن اختلطت أوراق شعبنا، وإن ضيعتنا فوضى العالم الحديث، لأن الذي يرسم لوحة جميلة لا يسقط توقيعه منها، فكلاهما نصف الآخر.

الفهرس

جزائرنا يا بلاد الجدود

جزائرنا يا بلاد الجدود نهضنا نحطم عنك القيود
ففيك برغم العدا سنسود ونعصف بالظلم والظالمين

سلام سلام جبال البلاد فأنت القلاع لنا والعماد
و فيك عقدنا لواء الجهاد و منك زحفنا على الغاصبين

قهرنا الأعادي في كل واد فلم تُجدهمْ طائراتُ العوادْ
ولا الدّبابات يُنجيهم في البلاد فباءوا بأشلائهمْ خاسئين

وقائعنا قد روت للورى بأنا صمدنا كأسد الشرى
فأوراسُ يشهدُ يوم الوغى بأنّا جهزنا على المُعتدينْ

سلُوا جبل الجرف عن جيشنا يخبّركمْ عن قُوى جأشنا
و يعلمكم عن مدى بطشنا بجيْش الزعانفة الآثمينْ

بجرجرة الضخم خضنا الغمار و في الأبيض الفخم نلنا الفخار
و في كل فج حمينا الذمار فنحن الأباة بنو الفاتحين

نعاهدكمْ يا ضحايا الكفاح بأنا على العهد حتّى الفلاحْ
ثقُوا يا رفاقي بأنّ النجاح سنقطفُ أثمارهُ باسمين

قفوا واهتفوا يا رجال الهممْ تعيشُ الجبالُ، ويحيا الشممْ
و تحيا الضحايا، ويحيا العلمْ و تحيا الدّماءُ، دماءُ الثائرينْ


978-9947-961-05-4





